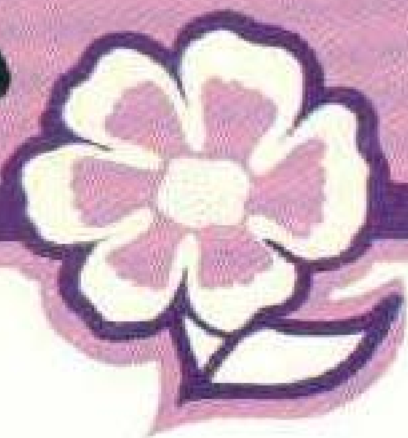


روايات عبير

روزميري كارتر

ضوء آخر النفق

١٣٥

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 135

ضوء آخر النفق

أحياناً تزيد ضربات من عزيمة الانسان، وتحديه في مواجهة الحياة.

روبين برغم صغر سنها، لم تستطع المصاعب ان تقهرها. فبعد موت والديها وقفت وحيدة تصارع رياح الفقر، لم تهرب... لم تتكسر... ظلّت نبتة عنيدة مغروزة في أرض أجدادها، برغم محاولات دين مورناي لاذلالها واضعافها والاستيلاء على مزرعتها المرهونة لديه.

صراع بين رجل وامرأة من أجل تحقيق الذات... كيف ينتهي؟ هل ينتهي الى الضوء كما هو اللقاء بين السالب والموجب؟

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
THE AWAKENING

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd. Bungay, Suffolk

همّت روبين سلون بالعودة الى المنزل بعد ما ملأت جرتها بماء النهر. كانت لاهثة، تعبة من ثقل الجرة، رفعت نظرها نحو السماء الافريقية الخالية من الغيوم، وتسرب القلق الى قلبها. لو أمطرت السماء معظم همومها، فأرض المزرعة العطشى بحاجة الى الماء لري الزرع. مضى شهر بكامله منذ قطعت البلدية الماء لعجز عائلة سلون عن دفع النفقات المطلوبه.

وقع نظر روبين على أخيها ميكي يقترب منها بسرعة جنونية:

- روبين أنظري. انها رسالة موجهة الى أبي.

عبست روبين، لا شك أن كاتب الرسالة يجهل ما حدث لوالديها. بدت لها الكتابة على المغلف غريبة، ففتحت الرسالة

وقرأت محتواها، شحب لونها وارتعشت يداها، فسألها ميكي مستفهماً:

- ما بالك؟ هل تحمل الرسالة خبراً سيئاً؟

- لست متأكدة من ذلك بعد. أحتاج بعض الوقت للتفكير.

- من هو المرسل؟

- دين موروناي.

فكرت أنه لا سبب لاثارة قلق العائلة قبل أن تفهم المعنى الذي تضمنته الرسالة. وأجاب ميكي بصوت تغمره الدهشة:

- دين موروناي؟ الرجل الذي اشترى مزرعة شارلي لانغ؟

أومأت روبين بالايجاب ثم قالت:

- لا أعتقد انه يعلم بمقتل والدينا.

بدأ الحزن على وجهيهما ثم سأل ميكي اخته قائلاً:

- ماذا يريد من أبي؟

لم تجب روبين بل وضعت الرسالة في جيبها ثم أعطت الجرة لميكي قائلة:

- اسكب الماء في هذه الجرة على بذور اليقطين التي زرعتها، ثم عد الى النهر واحضر المزيد من الماء. علينا الاعتناء باليقطين وكأنه ذهب.

- حسناً. لكن الى أين أنت ذاهبة؟

بدا العبوس على وجه ميكي فليس من عادة أخته أن تغادر

أراضي الزرعة في هذا الوقت من النهار، وهي التي تعمل أكثر من أي فرد آخر من أفراد العائلة. اجابت روبين:

- عائدة الى المنزل، عليّ القيام بعمل مهم.

كانت روبين تحتاج للانزواء بنفسها كي تفكر بوضوح في المصيبة التي يمكن ان تحصل.

دين موروناي... رأته مرة خلال زيارتها للمدينة. تفادت مقابلته حين علمت أنه المالك الجديد لمزرعة شارلي لانغ المسماة بالجبل الازرق وهي مجاورة لمزرعة عائلة سلون المدعوة: كرانيتكوب أوحى لها بالنفور وحين حاولت تذكر مظهره، لم تجد أي صعوبة. فكيف تنسى تلك القامة الطويلة والصدر الواسع، والعينين السوداوين والشعر الغامق؟ كان يشع منه وهج من القوة والسيادة.

رجل بدون رحمة... تنهدت روبين. لكن لا بد لها من مواجهته، والاصرار عليه باظهار رحمة نحوها ونحو عائلتها. فتبعاً لرسالته يطلب السيد موروناي من عائلة سلون، تسديد قيمة رهن مزرعتهم له بأسرع وقت.

لم تعلم روبين إلّا بعد مقتل والديها أن مزرعتهم رهنت لشارلي لانغ مما يدل على ان اوضاعهم المادية تدهورت تدريجياً، ومعها اشتدت حالة المزرعة سوءاً. فمضت سنة بكاملها منذ رهن والدها المزرعة ولم يكن بوسعه دفع المبلغ المتفق عليه

شهرياً، فتراكمت الديون ووجدت روبين نفسها في مازق. تفهم السيد لانغ وضعها ولم يلح عليها بالدفع.

ولم تعلم روبين أنه قرر بيع مزرعته، ومعها باع الرهن للمالك الجديد، لماذا لم يعلمها بالامر؟ أكان يخشى انها ستنفجر بالبكاء وتتصرف كطفلة؟

دلت رسالة السيد مورناي على تهذيب وجفاء في الحين نفسه ومضمونها واضح جداً. ينذر مرسلها على أنه اذ لم يدفع مالكو مزرعة كرانيتكوب ما يتوجب عليهم سيضطر حينئذ للالتجاء الى القانون لاسترجاع أمواله.

اذا تركت روبين الأمر يأخذ مجراه، سيعني ذلك فقدان المزرعة الى الأبد وتشرد العائلة وتشتتها. وهذه مصيبة تريد روبين تفاديها مهما كان الثمن. اذن ستبدأ خطتها اليوم بالذات لكنها لن تتسرع ستفكر بالأمر تفكيراً عميقاً، وستدرس بحذر الطريقة التي ستخاطب بها دين مورناي.

تذكرت كلمات أمها حين قالت لها يوماً:

- انه عالم تحت رحمة الرجال وسيادتهم، لا تنسي ذلك يا عزيزتي.

لم يزل وجه أمها ساطعاً في مخيلتها، ذلك الوجه النحيل الجميل الناعم، والبعيد كل البعد عن ما يعتقد البعض أن يكون وجه زوجة مزارع. لكن ادوارد سلون، والد روبين لم

يكن يوماً ذلك المزارع الحقيقي. ومن هنا تنبثق المشكلة التي تعاني منها روبين في هذا الوقت بالذات.

وكما قالت لها امها أيضاً:

- المرأة مخلوقة ضعيفة عليها التسلح بقوة خارجة عن طبيعتها، ان كان عليها ان تنجح في تفاوضات عملية أو في تحقيق أية صفقات مالية اخرى.

مرة اخرى سمعت روبين كلمات امها بوضوح وهي تقول:

- روبين ابنتي. عديني انك ستعتنين بالعائلة وتبقينها موحدة في حال شاء القدر ان تغادر أنا ووالدك هذا العالم.

اقتربت روبين من المرآة تتأمل وجهها اليانع الصبياني. لم تعط مظهرها الخارجي اي اهتمام من قبل. فاجأت نفسها اليوم تدرس بدقة تقاطيع وجهها. كان لون بشرتها عسلياً ولون عينيها الواسعتين يتموج وفقاً لمزاج روبين. فمن الأخضر يوماً الى لون ضبابي بلون الدخان يوما اخر. تملك عيناها قوة ساحرة تجهل روبين وجودها. وكان شعرها طويلا بني اللون حريرياً وكثيفاً، عقصته روبين الى الوراء بعيداً عن وجهها.

ووجدت ان مظهرها يدل على الضعف فتسرب القلق الى قلبها، عليها ان تقوم بانقاذ الموقف، فان لم تتصرف سريعا ستخسر كل شيء.

نادت اختها بصوت مرتفع فأسرعت آنا تلبي النداء قائلة:

- ماذا تفعلين هنا؟ اعتقد انك تعملين في المزرعة.

- عدت لتوي. أريدك ان تقصي شعري حالاً، قصيه قصيراً جداً.

وهتفت آنا بدهشة كبيرة:

- ماذا؟ هل فقدت صوابك؟

ناولت روبين الرسالة لأختها. قرأتها آنا بصوت مرتعش ثم اجابت:

- هل سنفقد المزرعة؟

- هذا ما سأحاول تجنبه.

- لكننا لا نملك المال لدفع الرهن.

- سأواجه السيد مورناي واتحدث اليه، لذلك اريد منك ان تقصي شعري.

- اتحاولين تحسين مظهرك؟

- لا. أريد السيد مورناي أن يعتقد انني رجل.

- هل ستتظاهرين بأنك ادوارد سلون؟

- كلا لن يصدق أنني ادوارد سلون، لذا سأقدم نفسي كروبرت سلون ابن ادوارد الاكبر. فكما حذرتني امي يوماً بأنه عالم يملكه الرجال. فان قصدت السيد مورناي لطلب مساعدته لن أنجح في مهمتي الا اذا كنت رجلا. فابدأي بالقص.

اغرورقت عينا آنا بالدموع وهي تشاهد تساقط خصلات شعر روبين الحريرية، بينما لم تتأثر روبين لذلك، كما لم تفهم تعاسة آنا. كل ما يهم الآن هو ايجاد حل سريع للاحتفاظ بالمزرعة وابقاء العائلة معاً، فشعرها لا يهم. اذ سينمو من جديد. وتذكرت أن امها منعتها من قصه بينما روبين تفضله قصيرا وتجد انه يزعجها في عملها اليومي في المزرعة. وعندما انتهت آنا من مهمتها تفحصت روبين نفسها في المرآة من جديد. أصبح شعرها قصيرا جدا مما زاد عينيها اتساعاً. ارتدت بنطلونا وقميصا واسعة تحجب تكوينها الأنثوي. وكانت آنا تراقبها بدقة فسألتها:

- أستخبرين السيد مورناي عن مقتل والدينا؟

- لا لن أخبره. فاذا فعلت ذلك سأفقد أية فرصة ممكنة للنجاح، هو لا يعلم بالحادث لذا سأخبره أنني توليت امر فتح الرسالة بسبب غياب والدي خارج المنطقة.

- ستكذبين عليه اذن.

- للكذب مبرر في وقت كهذا.

- ألا تشعرين بالخوف؟

- يجب ألا اخاف!

لكن روبين كانت بدون شك خائفة. تذكرت وهي تمتطي صهوة حصانها فلاش أن السيد مورناي يوحي بالرهبة، مما يدل

على ان ما تقدم عليه لن يكون سهلا على الاطلاق. تمسكها الصلب بالمزرعة، التي ورثتها من والديها، واهمية المحافظة على وحدة العائلة جعلاها تملك القوة الكافية لمواجهته.

وفي طريقها الى منزل السيد فورناي راحت روبين تتأمل أراضي مزرعتها التي يلفها الاهمال ويقضي على انتاجها. وحملتها ذكرياتها الى تلك الايام حين كان جدها ما يزال على قيد الحياة... كانت كرانيتكوب ملكه واعتنى بها كل العناية حتى باتت أكثر المزارع ازدهاراً. كانت تنتج ثمر الليمون الحامض بكميات أهلت جدها لتصديره الى الخارج، وكرس جدها كل وقته للعمل في المزرعة وأحب الحياة فيها وآلمه جدا أن ابنه لم يرث الحب نفسه. فادوارد سلون ملم بالشعر والكتابة وحب الموسيقى ووحدها الظروف جعلته يأخذ على عاتقه أمر ادارة المزرعة بعد وفاة ابيه.

كم أسعد روبين السكن في المزرعة فهي مثل جدها تعشق الطبيعة وفي نفسها يختلج حب عميق للزراعة والعيش من غلة الارض. كانت تحب الموسيقى والأشعار أيضاً، وهذا الحب زرعه في قلبها والدها لكنها وجدت سعادتها المطلقة في المزرعة.

وقبل وفاة والديها كانت روبين تمتطي صهوة حصانها كل يوم وترحل في نزهة لتتأمل أرجاء المزرعة. فتغمر قلبها سعادة لا

توصف.

في حين ان والدها لم يحب يوماً العمل كمزارع، سلم أمر العناية بالمزرعة لمزارع يتقاضى أجراً. ومنذ ذلك الحين بدأت المزرعة بالتدهور ولم يعتن بها المزارع كما يجب، وبعد مقتل والديها تفاجأت روبين بحقيقة الوضع، فاقترح عليها محامي العائلة أن تبيع المزرعة وتسدد الدين المتراكم. ويمكنها واخوتها أن تسكن مع أقارب لهم. رفضت روبين هذا الاقتراح فهي لن تتخلى عن المزرعة أبداً ولن تدع العائلة تتشتت.

تكاثرت الديون وعجزت روبين عن دفعها فاضطر مجلس بلدية المنطقة لقطع الكهرباء. لكن روبين أبت ان تيأس بل جمعت شجاعتها وكافحت جميع العقبات، اعتادت على استعمال قناديل الزيت، ولم يكن نورها يوازي قوة النور الكهربائي، لكن روبين واخوتها اعتادوا على استعمالها وبدا المنزل كل ليلة رومنطيقي الطراز وكأنه من العصور القديمة.

لكن عندما انقطعت عنهم الماء كان ذلك بمثابة مصيبة كبيرة! اذ عطشت الارض وذبل الزرع وماتت الاشجار ومع ذلك روبين لم تيأس بل تمسكت بالغد والأمل بأن تعيد لكرانيتكوب مجدها وازدهارها في يوم ما.

وللحصول على المال كان على روبين أن تتكل على بيع ثمر

المانغو والغواما وغيرها من الثمار الافريقية. سمعت أحد المزارعين يقول يوما ان اليقطين يلاقي رواجا كبيرا في الاسواق، فقررت روبين ان تزرعه في أرضها. يحتاج اليقطين الى الكثير من الماء. فثابرت روبين على نقل الماء من النهر كل يوم لسقي زرعها. وأصبحت مهمة نقل الماء مهمة يومية ضرورية جداً لا غنى عنها مهما كانت شاقة. واضافة الى جميع هذه الهموم التي تواجه روبين شاء القدر أن يضيف اليها هما آخر وهو طلب دين موروناي بتسديد قيمة الرهن.

دخلت روبين مزرعة الجبل الازرق وبهرها اختلاف المكان بزرعه الاخضر الخصيب. المنظر لم تألف رؤيته منذ زمن. تبدو الاشجار غنية بأوراقها وثمارها، لا شك أن العناية بالزرع بادية في كل مكان.

وصلت باب المنزل فتركت حصانها قرب الاسطبل وتوجهت الى الداخل. يبدو ان المنزل خضع لتحسينات عديدة فالجدران مطلية طلاء جديداً. وحول البيت زرعت أزهار عديدة. وهذا دليل على ان السيد موروناي سريع العمل فقد قام بتعديلات كثيرة خلال وقت قصير، ثم وقع نظرها عليه... يرتدي قميصاً حريرية باهظة الثمن وبنطلوناً مخمليا يلتصق بجسمه النامي العضلات. كانت تنبعث منه هالة من القوة والسيطرة على الآخرين.

ولرؤية روبين بادرها الحديث قائلاً.

- سيد سلون. هل باستطاعتي أن أخدمك؟

- جئت من أجل...

وترددت روبين قليلا حين وقع نظرها على المرأة الجالسة قرب السيد موروناي، لا بد انها زوجته، امرأة باهرة الجمال.

- أيمكننا التحدث على انفراد؟

- يمكنتك قول ما تشاء هنا.

- جئت من أجل الرسالة التي استلمتها منك اليوم. بخصوص دفع الرهن.

- صحيح. مضت سنة كاملة ولم يدفع شيئاً بعد من قيمة الرهن، لكن أين والدك؟ أفضل مناقشة هذا الموضوع معه.

- أبي غائب عن المنطقة حالياً.

- وتوليت أنت فتح رسالة تخصه؟

- نعم. فأنا مسؤول عن أعماله خلال تغيه.

- كم عمرك؟

ترددت روبين قليلاً ثم اجابت:

- عشرون سنة.

- من الأفضل لي أن أنتظر عودة ابيك لأناقش موضوع

الرهن.

- لا من فضلك، علينا التفاوض الآن. اذ سيطول غياب والدي أكثر مما تعتقد.

- حسناً. هل تفهم مضمون الرسالة؟

- نعم.

- وهل أنت مؤهل بالقيام بأي قرار يخص الرهن؟

- بكل تأكيد.

- في هذه الحال تفهم اذن أنه من المستحيل أن ادع الامور كما هي، فان لم يتم دفع القيمة المتأخرة خلال الاسبوع المقبل سأضطر لاتخاذ التدابير القانونية اللازمة لانهاء هذا الرهن.

- أرجوك لا تتسرع. سنقوم بدفع القيمة المطلوبة لكننا نحتاج لمزيد من الوقت.

- كم بالضبط؟

أجابت روبين وهي تجمع شجاعتها:

- ستة أشهر. ربما أطول بقليل.

- أتتوقع مني أن أقبل ذلك؟

- ارجوك عليك بالقبول.

بدا صوت روبين متوسلاً مشوباً بقليل من الغضب، فهي أمام رجل ثري واثق من نفسه، يتنعم بحياة هادئة مستقرة ماذا

يعلم عن الشخص الواقف أمامه؟ عن الصراع الذي تعانيه أسرة سلون يومياً للبقاء على قيد الحياة... عن البؤس والأسى وموت الزرع وفقدان الأهل وحسرة الاولاد وتساؤلاتهم عن المستقبل، وما يحمل لهم في طياته. ماذا يعلم هذا الانسان القوي عن ضعف روبين وتصنعها الشجاعة كي تحافظ على من بقي من أسرتها تحت سقف واحد؟ ماذا يعلم عن انقطاع الماء والكهرباء والعيش في أوضاع بدائية؟

فمنزل السيد مورناي مضاء بجميع أرجائه. هل يمكنه أن يتخيل حالة اخوتها الذين اجبرتهم الظروف على القيام بدروسهم اليومية تحت ضوء القنديل؟

فأضافت روبين بعد قليل:

- أرجوك أن تمدد مهلة الدفع. فلو تعلم...

وأطلقت السيدة الجالسة قرب السيد مورناي:

- لو يعلم ماذا؟

- مرت علينا أشهر قاسية. واجهنا أمراضاً وأوضاعاً مالية مختلفة، لكن الامر سيتحسن. نحتاج لبعض الوقت فقط... سيدة مورناي أرجوك اقناع زوجك بالتمهل.

ابتسمت السيدة وألقت نظرة ناحية السيد مورناي ثم اجابت:

- لست زوجة السيد مورناي. . . لكن بما انه سمح لي بالبقاء هنا خلال حديثكما سأحاول. . . دين حبيبي اعط روبيرت سلون وعائلته فرصة أطول للدفع.

- كلاريسا دعيني أعالج الامر بمفردي.

وقالت روبين:

- كل ما اطلبه منك هو المزيد من الوقت لا أكثر. سندفع لك أموالك بكاملها.

وخيم الصمت لبرهة. بدا التفكير على وجه دين مورناي وراح يتفحص روبين بدقة. ثم اجاب:

- سيد سلون. أتعتقد أن الوقت حليفك؟ حصل أن اطلعت على الوضع المؤسف الذي يخيم على مزرعتكم. فشجر الليمون الحامض مثلاً في حالة يرثى لها.

- أعلم ذلك. فكما قلت لك سابقاً، مرت علينا أوقات قاسية. حاليا لن نستطيع الاستعانة بحامض الليمون لكسب عيشنا، بل سنلتجىء لثمار مختلفة.

- مثل؟

- ثمر المانغو والكوافا واليقطين.

وضعت كلاريسا يدها فوق يد دين مورناي وقالت بصوت ناعم:

- حبيبي اعط روبرت فرصة أخرى. يبدو أنه شاب

لطيف.

- هل بدأت تفضلين صغار السن؟

بدا الغضب على وجه كلاريسا. وفكرت روبين بذهنها كم هو قاس فاذا كان يعامل من يحب بهذه الطريقة الجافة فماذا سيحل بعائلة سلون اذا كانوا تحت رحمته؟

- سأفكر بالوضع يا سيد سلون، وسأعلم والدك بقراري الأخير متى حان الوقت.

شعرت روبين ان شعلة الامل اضاءت من جديد ولرؤية السيد مورناي يبتسم تفاجأت أنه بالفعل وسيم المظهر.

ثم اضاف قائلاً:

- اتمنى لك الحظ بزراعة اليقطين.

انطلقت روبين على ظهر حصانها فلاش بسرعة خاطفة، وشعرت بشيء من الراحة داخلها. فحتى لو لم يصل السيد مورناي لقرار نهائي بعد، فهي واثقة أنه سيقبل بالعرض.

طبعاً سيضع شروطاً قاسية لكن لا بأس، فمزرعة كرانيتكوب لم تذهب من أيدي أسرة سلون بعد. وتأمل روبين ألا يأتي اليوم الذي ستؤخذ منها المزرعة رغم ارادتها. لكن لا لن يحصل ذلك، ستعمل بكل ما فيها من قوة وحيوية، وستعتني باليقطين عناية الام بأطفالها كي تضمن مدخولا كافيا يؤهلها

دفع القيمة المالية اللازمة شهرياً للسيد مورناي. وربما حالفها الحظ واستطاعت اعادة الماء والكهرباء للمزرعة!

٢ ـ العشب لا يخفي الحقيقة

جلست روبين تتناول طعام العشاء برفقة اخوتها. أخبرتهم تفاصيل لقائها مع السيد مورناي. استمعوا اليها باصغاء واهتمام شديدين... ولرؤيتهم شعرت روبين بأهمية الاحتفاظ بالمزرعة اكثر من أي وقت اخر. فهي حريصة على ان توفر لاخوتها فرصة لتحقيق احلامهم في المستقبل. فآنا مثلا ترغب بأن تصبح مدرسة... وحلم ميكي الاكبر بأن يصبح طبيباً بيطرياً، وتيموثي الاصغر سناً يرغب بدرس الزراعة ليصبح مزارعاً. تأملت روبين ارجاء الغرفة ووجدت نفسها تقارن بينها وبين منزل السيد مورناي. فرغم الاختلاف الكبير نسبة للمفروشات والطراز، يبقى منزل روبين يفوت الآخر حباً

ودفئاً. فهنا تجد روبين نوعاً من السعادة اهم لديها من روعة الاثاث في منزل دين مورناي.

وبعد أن آوى الجميع الى فراشهم، عجزت روبين عن النوم كانت تجول في ذهنها أفكار عديدة. ترى. . . هل سيقبل السيد مورناي تمديد مهلة الدفع؟ واذا قبل اتستطيع روبين تحقيق وعدها له والدفع شهريا باستمرار؟ لاشك ان الشهور المقبلة يحجبها غموض عميق. يبقى شيء واحد واضح وهو ان الشهور المقبلة تحمل في طياتها اعمالا شاقة يتوجب انجازها. وشردت افكارها في لقائها مع السيد مورناي، لا تعلم لماذا ترك هذا اللقاء أثراً عميقاً في نفسها، فهي لا شعورياً معجبة به الى حد بعيد فقد اوحى لها برجولية جذابة يصعب تجاهلها. وقفت روبين قرب نافذتها تتنشق عبير الأزهار الاستوائية ووردت في ذهنها صورة كلاريسا: المرأة في حياة دين مورناي، لا شك انها يشكلان ثنائيا رائعاً. اسرعت روبين الى المرآة تتأمل وجهها تحت ضوء الشمعة الشحيح. ولسبب ما لم تعد توافق على محاولتها بالظهور كرجل. انتابها شعور غريب، شعور بالحنين صادر من مقارنتها لكلاريسا، التي يدل مظهرها على ذروة الانوثة والجمال اللذين تحلم كل امراة أن تصل اليهما.

اما روبين فهي صبيانية في تصرفاتها. ومنذ صغرها احبت

تسلق الاشجار وركوب الخيل وكرهت ارتداء الفساتين بل فضلت دائما ارتداء البنطلون، الآن عادت للشعر القصير. وتسرب الى قلبها الندم فحاولت بيأس أن تتجاهله، كم تتمنى في هذه اللحظة بالذات ان تبدو جميلة. تذكرت امها بجمالها الرقيق وكيف انها ارتدت الفساتين دائماً، وصففت شعرها بطريقة انثوية ناعمة، فهرعت روبين الى خزانة ثيابها وتناولت منها فستاناً كان من أجمل فساتين امها. فارتدته ونظرت الى نفسها في المرآة، يا للتناقض! فهو فستان يلائم فتاة أرق وألطف، فخلعته عنها وأعادته الى مكانه وهي تتنهد من الحسرة. يالها من غبية قررت ان تمثل دور رجل وذلك ما ستفعله، فلا وقت لديها للاحلام. . . بل يجب ان تضع تصميماً للمستقبل. وبما انها عاجزة عن النوم ستخرج الى الحديقة حيث يمكنها التفكير بوضوح.

خرجت روبين الى الحديقة تتنزه تحت ضوء النجوم اللامعة في السماء الصافية، التي لا اثر فيها للامطار. وشرعت تفكر. . . متى سيكون لقاؤها الثاني مع السيد مورناي؟ ماذا سيكون قراره؟ هل سيصدقها حين تواصل كذبتها عن غياب والدها خارج المنطقة؟ ولماذا جعلتها ذكراه تتشوق لأن تكون امرأة حقيقية؟ لماذا ندمت لتمثيلها دور الرجل امامه؟

في اليوم التالي، انهمكت روبين بعملها، عليها انجاز

اشغال عديدة قبل غياب الشمس، واسعدتها رؤية اليقطين ينمو جيدا، بالاضافة الى الكميات الكبيرة من ثمر المانغو والغوافا. وهذا يعني ان روبين ضمنت لنفسها مدخولا بسيطا على الاقل، كل ما تحتاج اليه هو ما يكفي من المال لدفع قسط الرهن الشهري، وستفكر باعادة الماء والكهرباء للمزرعة فيما بعد.

مرت أيام، وقررت روبين يوماً أن تعد حقلا آخر لزرع اليقطين، حتى لو تطلب منها ذلك عملا اضافيا لاحضار الماء من النهر. كان الطقس حارا والعمل شاقا، وبين الحين والآخر توقفت روبين عن عملها لتلقي نظرة خاطفة الى التلال، حيث الاشجار الخضراء والعشب الخصب. كم تود لوكان بوسعها نسيان كل همومها، والانطلاق على ظهر حصانها، تتفقد الغابة والانهار والجداول وجميع ما تهب الطبيعة من سحر وروعة. فقبل وفاة والديها كانت روبين حرة طليقة لا تعرف معنى الهم وعمق القلق، تقضي أوقاتها برفقة حصانها يكتشفان معاً أرجاء هذا الجبل العظيم. وبينما هي مستغرقة في افكارها اقترب منها دين مورناي على ظهر حصانه، فالتفتت بسرعة، رؤية هذا العملاق المخيف فاجأتها فبادرته الحديث قائلة:

- صباح الخير سيد مورناي.

كان صوتها مهذباً لكن في داخلها كانت تشتعل نار

الغضب. كيف يجرؤ السيد مورناي مفاجأتها على هذا النحو؟ كرانيتكوب ليست ملكه بعد ولن تصبح ذلك طالما هي على قيد الحياة. فأضافت:

- فاجأني حضورك.
- لاحظت ذلك. يجب ان اهنئك على استغراقك العميق في عملك.
- شكراً... هل توصلت لاتخاذ أي قرار؟
- في الحقيقة أفضل التحدث الى والدك، فاين هو؟
- لم يزل غائباً.
- اذن لا جدوى لي بالبقاء هنا.

وهم السيد مورناي بالرحيل فنادته بسرعة:

- سيد مورناي يمكنك التحدث الي.
- لكن الأمر يتطلب وجود ابيك.
- اعلم ذلك.
- اذن؟
- غياب ابي سيدوم لمدة طويلة.

ونظرت روبين اليه محاولة تفسير تعابير وجهه. عليها القيام بدورها على اكمل وجه، فمصير اسرتها يتعلق بارادة هذا الرجل الرهيب.

- لماذا لم تقل لي ذلك من قبل؟ فهذا يغير الوضع بعض

الشيء.

هزت روبين كتفيها ولم تجب. كان يتفحصها بعينيه الساخرتين ثم قال:

ـ لنتحدث اذن يا روبرت، لكن احذرك بانني جاد في قراري ولا وقت عندي للعب.

ـ وانا ايضاً.

يا له من رجل متغطرس، لم تقابل احداً مثله من قبل، راح يتفحص المزرعة المهملة ثم هز رأسه وقال:

ـ يبدو ان اسرة سلون اهملت هذه الاراضي لوقت طويل.

كم رغبت روبين لو تصفع وجهه فهذا ما يستحقه في ذ الوقت، فأجابته بغضب:

ـ اعلم جيداً سوء الوضع هنا، وقد قلت لك حين تقابلنا لأول مرة اننا عانينا من مصاعب شتى، خلال الاشهر القليلة الماضية. لكن سنحسن الوضع اذا توفر لنا الوقت.

ـ اشعر انك تكذب علي لكن لأجل شجاعتك سنناقش الموضوع.

تنفست روبين الصعداء. كانت تعتقد لبرهة انها ستفقد صمودها امام هذا العملاق، فهو يدب الذعر في قلبها. فقالت:

ـ انني مستعد.

وقام دين مورناي بطرح شروطه للقبول بتمديد مهلة الدفع.

كانت شروطه قاسية تماماً كما توقعتها روبين، وحذرها مما يمكن ان يحصل اذ لم يتم الدفع كما هو متفق عليه. ولشدة دهشتها اكتشفت انه لم يضف قيمة الفائدة فشكرته على ذلك. ثم اعلمها انه ينوي القيام بمهمة استكشاف للمزرعة في المستقبل القريب.

وحين استعد للرحيل تبعته عينا روبين وفيهما بريق من الاعجاب العميق، فهو اشبه بفارس قرأت عنه في الكتب.

عادت الى عملها مزودة بنشاط جديد، وشرعت تنقل الماء من النهر غير مبالية لحدة الشمس وحرارة الطقس القاسية. وخلال عملها حاولت التركيز على تصميم عمل يجب ان تتبعه في الأشهر المقبلة كي تحقق وعدها للسيد مورناي.

ومرة بعد مرة وجدت افكارها تشرد في التأمل بذلك الفارس الغامض، وحاولت اقناع نفسها انه من الطبيعي جداً ان يسكن افكارها، فهو لمدة ايام عديدة على الأقل شغل مكانة مهمة في حياتها، اذ كان يمسك بمصيرها ومصير اسرتها في قبضة يده. لكن لماذا ترتكز افكارها على تلك الناحية من شخصيته تلك

التي تنبعث منها هالة تكاد تسيطر على عقل روبين وتفقدها وعيها؟

وبعد ايام قليلة جاء راعي القطعان يعلم روبين عن سرقة بقرة اخرى من قطيع البقر. اغضب روبين هذا الخبر فحالتها المادية في مأزق من دون اي خسارة اضافية. وبعد ان انهت عملها اعتلت ظهر حصانها وهرعت تتفقد سياج المزرعة. كانت قد طلبت من اخيها ان يرمم السياج بعد سرقة البقرة الأولى، وهي متأكدة من انه لبى طلبها. وحين وصلت الى المكان المقصود لمحت السارق عن بعيد، كان رجلاً في مطلع العمر تعلو الابتسامة وجهه الفظ، ورأته منهمكاً باختراق السياج المرمم. تملكها غضب شديد وهي تراقبه. تعلم جيداً ما يجول في خاطره فهو يحاول اختراق السياج للاستيلاء على بقرة اخرى. اسرعت نحوه فانتصب واقفاً وقد ادهشه رؤية روبين وحصانها.

- كيف تجرؤ على سرقة قطيعنا؟

لم يظهر عليه الخوف اذ ادرك ان الشخص الذي يكلمه ليس سوى صبي بمطلع عمره فأجاب:

- لا افهم ما تعنيه.

- بل تفهم جيداً ما اعنيه تريد سرقة بقرتين من قطيعنا. فهيا بك ارحل من هنا.

- عليك ارغامي على الرحيل.

نسيت روبين انها فتاة. لم يكن مرادها مقاومته لكنه كان اسرع منها، اذ امسك بذراعها بعنف بينما حاولت صده، لكنه كان اقوى منها فألقى بها على الأرض مما تسبب بتمزيق قميصها. لوهلة كانت روبين تشعر بدوران من فعل اصطدامها بالأرض، ولم تدرك خطورة الموقف الا بعد ان نظرت الى وجه المتشرد من جديد، لترى التغيير المفاجىء في تعابير وجهه. فغمرها الذعر واسرعت نحو حصانها لكن الرجل المتشرد اسرع نحو الحصان وضربه بقضيب مما جعله ينطلق بسرعة، وتوجه الرجل نحو روبين وفي عينيه شرارة شيطانية لم تألفها روبين من قبل ابداً. حاولت بيأس مقاومته لكنه كان اقوى واكبر منها، وادركت روبين انه لن يرحمها افلتت منه واسرعت تركض لكنه التقطها من جديد وعلمت روبين ان الصراخ لن ينفعها اذ لن يسمعها احد. القاها على الأرض وثبت جسمها، محبطاً بذلك اي محاولة بالفرار، لكن فجأة اطلق الرجل صرخة عالية ولشدة دهشتها رأت روبين دين مورناي يمسك بالمتشرد بعنف ويلقيه على الأرض ثم انهال عليه بالضرب. فافلت الرجل من قبضته واسرع بالفرار، علمت روبين انه لن يعود ابداً.

بقيت روبين وجهاً لوجه مع السيد مورناي الذي بدا على وجهه الغضب والدهشة في آن واحد. كانت عيناه تتفحصان

روبين بتعجب، حاولت بيأس اخفاء عريها فأخفت جسمها بين الاعشاب الطويلة، ابتسم دين مورناي وقال:

- ارى ان روبرت سلون هو في الحقيقة روبرتا!

٣- أول قسط من... الألم

وهمست روبين بصوت مرتعش:

- روبين... اسمي روبين سلون.

- حسناً. روبين سلون كدت تدفعين ثمن كذبك.

- وماذا تعني بذلك؟

- أعني أن تمثيل دور الرجل، كاد يسبب لك متاعب لا تقوين على مواجهتها. فهل لك ان تشرحي لي معنى تصرفك؟

بدا على روبين يأس شديد ولاحظ دين انها ما تزال تعاني من الصدمة فقال بلطف وهو يقترب منها:

- هات يدك لأساعدك على الوقوف.

لكن روبين امتنعت عن التعاون بل ابتعدت عنه فقال:

- روبين، أرجو الا تعتبريني ايضا رجلا خطيراً.

- لا أبداً، انما...

أحنت رأسها بخجل علّه يفهم سبب شعورها بالاحراج فأجاب:

- أفهم انك تحاولين اخفاء عريك لكن ما زلت أعتقد ان عليك ان تقفي.

فأطاعته روبين وانتصبت واقفة. وبدا على ذراعها جرح طفيف اقترب منها دين وتفحّص الجرح بدقة ثم قال:

- لا تقلقي، ستكونين بخير... هل لك ان تخبريني الآن سبب تصرفك الغريب.

- أردتك ان تعتقد اني رجل كي استطيع التفاوض معك بشأن موضوع الرهن.

- الرهن؟

- نعم. فحين استلمت رسالتك أدركت ان عليّ مواجهتك، وتذكرت حين قالت أمي يوماً ان الرجال أسياد هذا العالم...

فقاطعها دين قائلا:

- وظننت بأنك كروبرت أصبحت تشغلين مكانة متساوية؟

اومأت روبين رأسها ولم تجب. نظر اليها دين بلطف وأضاف:

- روبين... يبقى أمر آخر لم تصارحيني به بعد...

والدك... لن يعود أبداً، أليس كذلك؟

- نعم. لقد قتل مع والدتي في حادث سيارة منذ ستة أشهر تقريباً.

- وأنت تعتنين بالمزرعة بمفردك منذ ذلك الحين؟

- نعم.

- لماذا لم تخبريني بالحقيقة من قبل؟

- لأنني خشيت أن تنهي عقد الرهن.

- صحيح.

- والآن ماذا ستفعل؟

- هل أنت متعلقة بالمزرعة تعلقاً شديداً؟

- نعم، فكرانيتكوب منزلنا الوحيد ولن يسعدنا تركه أبداً.

- اذن. ما زال اتفاقنا مستمراً. وما زلت مصراً على الشروط التي أعددتها. فاذا كنت منذ أيام قليلة واثقة من قدرتك على كسب المال من غلّة المزرعة، فلم تزل تلك الامكانية جارية المفعول، لكن تذكري انني رجل أعمال جدي. فاذا فشلت ساضطر لاتخاذ التدابير اللازمة لانهاء الرهن. حسناً... سارحل الآن... أين حصانك؟

- أرغمه الرجل المتشرد على الفرار.

- لا أعتقد ان ذلك المتشرد سيجرؤ على العودة الى هنا بعد الآن.

وأمسك بذراعها ووضعها فوق حصانه وانطلق بها نحو المنزل. دفعها احساس غامض للامساك به بشدة وكأنها بشوق لابقائه قربها. سارت في دمائها أحاسيس لذيذة مختلفة فهي لم تعانق رجلا بهذه القوة من قبل. اتكأت برأسها فوق ظهره بخفة خاشية ان يشعر به، كم أرادت ان يعدو بهما الحصان الى الأبد... لكن سرعان ما خاب أملها لرؤية المنزل عن بعد وعندما وصلا نزلت روبين عن ظهر الحصان وشكرت دين لطفه فأجاب:

- حاولي ألا تورطي نفسك بمثل هذه المواقف من جديد.

وانطلق عائداً الى مزرعته، تبعته عينا روبين تتأملانه وقد بدا مع حصانه في الأفق كلوحة من الجمال والسلطة.

ثابرت عائلة سلون على أعمالها اليومية الشاقة، ثم امضى ميكي وتيموثي وآنا معظم أوقاتهم بعد المدرسة للعمل في المزرعة، وتركوا واجباتهم المدرسية للمساء.

استيقظت روبين كل يوم قبل شروق الشمس لتبدأ عملها اليومي في الحقل، أحبّت عملها اذ بدأت تحصد ثمار اسابيع من العمل الشاق المتواصل.

اقترحت آنا على شقيقتها فكرة جيدة، وهي أن تقوم آنا باستعمال ثمر الليمون والحامض لتحويلها الى مربى للبيع في السوق. ونجحت الفكرة وانتجت ما يكفي من المال لتزويد

حاجات المزرعة ونما ثمر اليقطين بكميات كبيرة مما أنسى روبين تعبها الناتج عن احضار الماء من النهر.

لكن رغم أن كل شيء صار افضل مما كانت تتوقعه روبين الا ان هناك أفكاراً مختلفة تقلقها وكلها تخص دين مورناي. لم تره منذ تلك الحادثة لكنه لم يغادر ذهنها.

بقيت صورته تتردد في مخيلتها ولم تفارقها ولا لحظة. أرادت طرده من ذهنها لأن ذكراه تؤلمها وتجهل سبب هذا الألم.

أتى الموعد الذي حان فيه دفع أول قسط من الرهن.

استيقظت روبين من فراشها وهي تشعر بارتباك تناقضت مشاعرها بين احساسين. احساس بالخوف لاضطرارها لزيارة مزرعة الجبل الأزرق، واحساس بالغبطة للقاء دين مورناي من جديد. فبعد انهاء عملها في الحقل دخلت المنزل، أخذت حماماً، ثم ارتدت بنطلوناً نظيفاً يلائم قامتها النحيلة وقميصاً ناعماً يظهر هذه المرة انها امرأة وليست رجلا.

لم يزل شعرها قصيراً لكنه نما الى حد قليل خلال الشهر الماضي. وضعت قليلا من أحمر الشفاه وصففت شعرها ثم انطلقت الى مزرعة الجبل الأزرق.

كانت كلاريسا دوتوا مستلقية على كرسي طويل في مواجهة الشمس. تأملتها روبين باعجاب، لا شك ان كلاريسا حسناء فاتنة وأشبه بعارضة أزياء رأتها روبين في مجلات الأزياء. وقفت

روبين برهة بدون ان تتفوه بأية كلمة. نظرت حولها محاولة ايجاد دين مورناي لكن دون جدوى فاقتربت من كلاريسا قليلا وهمست:

- آنسة دوتوا. . .

فتحت كلاريسا عينيها ولرؤية روبين أجابت:

- ها هو روبرت. . . أعني روبين.

كان صوتها قاسياً مما أدهش روبين لحد بعيد فقالت:

- صباح الخير آنسة دوتوا. أرجو الا اكون قد أيقظتك.

لم تجب كلاريسا بل راحت تتفحص روبين بدقة، وعلى وجهها ترتسم تعابير جافة ولئيمة، مما أكد لروبين ان كلاريسا تبغضها لسبب ما.

فقالت بلطف:

- هل أزعجك حضوري؟

- ولماذا تسألين سؤالا تافهاً كهذا؟

وضحكت كلاريسا معتمدة احراج روبين. تساءلت روبين عن سبب التغيير المفاجىء الذي طرأ على هذه المرأة. فأجابت:

- لأنك تنظرين الي بطريقة لا أفهمها.

- هل تقومين بلعبة أخرى من ألعابك الماكرة؟ ظننت انه ذكاء منك ان تمثلي دور روبرت سلون، وسخرت منا معتقدة ان حيلتك هذه نجحت أليس كذلك؟

- لم يكن هدفي السخرية منكما، أردت فقط ان اقنع السيد مورناي بتمديد مهلة الدفع واعتقدت اني لن أنجح في ذلك الا اذا كنت رجلا.

ضحكت كلاريسا وأجابت:

- يا لها من رواية مضحكة.

- لا أفهم ما تعنين.

وبدأ الغضب يتسرب الى أعماق روبين، لماذا تسخر منها كلاريسا؟ لماذا يهمها الأمر في حين تفهّم الوضع دين مورناي؟

- يا لك من ممثلة ماكرة! ان كنت تحاولين اظهار براءتك فقد اخطأت في اختياري لتصديق قصتك. وما هي مناورتك الآن؟

- ليس هنالك أية مناورة. جئت لأدفع القسط الشهري للسيد مورناي.

- حسناً. سأتولى أنا استلامه.

- أفضّل تسليمه شخصياً.

- أتخشين ان أحتفظ بالمال لنفسي؟

- لا انما أفضّل أن أراه شخصياً.

أجابت كلاريسا وشرارة الغضب بادية في عينيها:

- السيد مورناي منهمك بأعماله الآن.

- اذن سأنتظر حتى ينتهي.

- كما تشائين. لا تنتظري مني أن أسليك.

ودخل السيد مورناي في هذه اللحظة وقال:

ـ هل ترغب روبين بالتسلية؟

التفتت روبين لسماع صوته فغزا وجهها الاحمرار. فقالت كلاريسا بصوت ناعم:

ـ دين... حبيبي... جئت في الوقت المناسب. روبين الصغيرة تلح على رؤيتك شخصياً. فهي لم تثق بتسليم القسط الشهري لي. وأصرّت على انتظارك.

كم أرادت روبين أن تشرح له الأمر من وجهة نظرها هي، لكنها لازمت الصمت فلا جدوى من المناقشة. تملّكها شعور بالخجل، حين وجدت نفسها أمام هذين الشخصين اللذين لا تربطها بهما أية صلة. فلرؤيتهما أحست بوسع الفجوة التي تفصلها عنهما، فهما ينتميان الى عالم من الرفاهية والتكلف لم تألفه من قبل. أرادت ان تعود أدراجها بأسرع وقت ممكن فنظرت الى دين مورناي وقالت:

ـ جئتك بالمال.

وسألها بتهذيب:

ـ هل من عادتك التطرق الى قلب الموضوع مباشرة؟

ـ نعم. فهي ميزة يتحلى بها جميع أفراد اسرة سلون. والآن سأعود الى عملي.

أمسك بذراعها قائلا:

ـ كنت سأقدم لك شراباً مرطباً.

ـ لا... شكراً.

ـ من المستحسن ان تكون علاقتنا مبنية على أسس الصداقة. حيث انك ستأتين الى هنا بطريقة منتظمة. فأي شراب تفضلين؟

ـ عصير الليمون من فضلك.

كانت كلاريسا لا تزال ترمقها بنظرة ساحرة، ترى ما سبب سخطها المفاجىء؟ جلست روبين برفقة كلاريسا ودين وتولت كلاريسا التحدث بأمور تافهة، احست روبين بملل شديد. اختلست نظرة سريعة الى حيث كان دين جالساً ولاحظت انه يراقبها.

ترى! ماذا يجول في خاطره؟ هل يذكر لقاءهما الأخير؟

كانت كلاريسا تراقبها ايضا. وانقبض قلب روبين، لم تعد تقوى على البقاء أطول من ذلك. أحست ان عليها ان ترحل... ان تغادر هذه القاعة فوراً. ستقتصر زيارتها في المستقبل على دفع القسط فقط، اما علاقتها مع السيد مورناي فلن تتعدى نطاق العمل أبداً!

٤ ـ لا ترغبه عدواً

ومرت أشهر عديدة والأرض لم تزل تتوق للامطار، وثابرت روبين على القيام بسقي الزرع من ماء النهر. وفي مطلع كل شهر قصدت روبين مزرعة الجبل الازرق لدفع المال المتوجب عليها. كانت تتأمل بحسد وشوق خلال رحلتها الى المزرعة، خصب أراضي السيد مورناي والماء الغزيرة المتوفرة في جميع أرجائها. بينما توجب عليها وأسرتها العمل الشاق اليومي للحصول على انتاج ضئيل. كم قلقت روبين كلما مرّ شهر على زيارتها. هل سيكون بامكانها جمع المال المطلوب في الوقت المناسب؟ واذا حصل وفشلت هل سيسمح لها دين مورناي بمزيد من الوقت؟ أم أنه سيقرر انهاء العقد؟ وكم من مرة

تفحصت ملامح وجهه بحثاً عن ومضة حنان وشفقة، علها ستحتاج لها في المستقبل حين ستضطر لطلب المزيد من الوقت لتسديد الدفع. وفي كل مرة زارت مزرعة الجبل الازرق، كانت زيارتها قصيرة، رسمية ومختصرة. وعندما لا تجد دين موروناي، تكتفي بتسلم المال الى كلاريسا. كانت تفضل الا تراه لأنها ترتبك لرؤيته وتثور في داخلها عواطف مجهولة.

كانت عائدة من رحلتها اليومية الى النهر لاحضار الماء، حين ظهر امامها حصان دين موروناي. فرفعت راسها ورأته ينظر اليها والدهشة بادية في عينيه. فسألته قائلة:

- هل انت بخير؟ تبدو كانك رأيت شبحاً.
- ماذا تفعلين بدلو الماء هذا؟

تساءلت روبين عن معنى الغضب في صوته. فوضعت دلو الماء على الارض وحاولت التقاط انفاسها. نظرت اليه وأجابت:

- لماذ يغضبك ما أفعله؟
- اتعنين انك تجهلين سبب غضبي؟

أجابت بالنفي ثم همت بالعودة الى عملها حين امسك بذراعها بعنف وقال:

- ما معنى هذه اللعبة الجديدة؟
- انك تؤلمني.

وحاولت الافلات من قبضته لكنه كان مصراً على التمسك بها واجاب:

- اتركك حين تجيبين على سؤالي.
- كيف أجيبك وأنا لا أفهم معنى السؤال؟
- لم أصدق حين سمعت...

كان صوته بارداً قاسيا ارتعشت له روبين كطير خائف وقالت:

- لم تصدق ماذا؟

تقلص وجهه وأجاب:

- صحيح انك تقومين بسقي الزرع بدلو الماء الذي تحضرينه من النهر؟

أجابته بدون تردد:

- نعم.

وتساءلت لماذا يهمه الامر؟ فأضافت قائلة:

- الاثرياء قليلون هذه الايام سيد موروناي.
- نادني دين ولنضع حداً للرسميات.
- دين...

شرع يحدق بها لبرهة قصيرة ثم قال:

- اذن، فهي قصة حقيقية.
- صحيح، فنحن نحصل على مائنا من النهر.

لم تزل روبين تجهل معنى غضبه ولن تدعه يلاحظ انه اغاظها بزيارته هذه، ثم سألها:

- لكن. . . لماذا؟

- لأن الزرع يحتاج للسقي.

- من ماء النهر المحملة بدلو؟

- أعلم انها طريقة بدائية لكن. . .

- لكن الأمر بات اشبه بمهزلة.

هل يعتقد انها اختارت القيام بعملها اليومي على هذا النحو، كيف يجروء على مخاطبتها وكأنها طفلة لا تبالي لخطورة الموقف؟

- هل تخشى الا أستطيع ان أقوم بدفع القسط الشهري؟

أطلق ضحكة عالية وأجاب:

- تعلمين جيداً أنني سأنهي عقد الرهن حين تفشلين في الدفع.

- تماماً ما كنت ترغب القيام به منذ البداية.

- صحيح فذلك يسعدني الى حد بعيد.

ارتعش صوتها وهي تقول:

- لكنك وعدت باعطائنا فرصة جديدة.

- لو علمت الحقيقة لما فعلت ذلك.

كم آلمها صمته البارد الجاف القاسي:

- انك في حالة غضب شديد لا أعلم سببه.

لم يجب دين للحظات طويلة، راحت خلالها عيناه تتفحصان وجه روبين الاسمر الجميل وقامتها النحيلة الرشيقة ثم قال:

- انني لا أفهم طباعك.

زال الغضب من صوته وبقيت مرارة لا تعلم روبين سبب وجودها ثم أضاف:

- تقول كلاريسا ان براءتك مصطنعة، تماما كتمثيلك دور الرجل منذ مدة. لكنني اتساءل احيانا عن صحة هذا القول.

- أمن عادة كلاريسا تقرير رأيك نيابة عنك؟

ابتسم دين وقد أدهشته سخريتها واجاب:

- لا طبعاً. حتى لو حاولت فلن تفلح، فأنا اقرر رأيي بنفسي. . . لكنك سألتني عن سبب غضبي الشديد فالجواب على ذلك، هو اكتشافي المشقة التي تواجهك يومياً لسقي الحقل بواسطة دلو من الماء، وكأنني رجل اقطاعي لا يرحم عبيده.

- غير صحيح. . . فنحن نتقاضى المال من عملنا ولا مبرر لشعورك بالشفقة نحونا اذ اننا مدينون لك بمبلغ من المال علينا تسديده.

توقفت روبين قليلا ثم نظرت اليه بتساؤل وقالت:

- هل افهم من حديثك أنك تفكر باعفائنا من الدفع؟

أطلق دين ضحكة رنانة، احتقن لسماعها وجه روبين

وقال:

- عزيزتي روبين... هنالك حدود للاحسان وانا بلغت هذه الحدود.

- اذن ماذا تحاول ان تقول؟

- أرغب بشراء مزرعة كرانيتكوب.

كم أدهشها جوابه أولا، ثم تسمرت في مكانها واشتعل الغضب داخلها فأجابت:

- اذا كان سعيك الوحيد هو الاستيلاء على ما هو ملكنا وبسعر رخيص اذن فالجواب لا. لا. وألف لا.

- اهدأي يا صغيرتي... لا تتسرعي بحكمك. لماذا تعتقدين أنني سأحتال عليك بالسعر؟

- ألست على صواب؟

- لن تعلمي ذلك إلا اذا كنت مستعدة للتفاوض بأمر البيع.

- لا أقوى على ذلك فكرانيتكوب منزلنا الوحيد.

لاحظ دين نظرة الكآبة التي غمرت عينيها فسألها بلطف:

- هل تخبئين أمراً ما؟

أجابته بتردد:

- وعدت امي قبل وفاتها بأن نبقى معا كأسرة واحدة مهما حصل.

- أفهم شعورك... لكن من المستحيل ان تكملي عملك

على هذا النحو.

- لا خيار لي سوى ذلك.

- اذا اشتريت مزرعة كرانيتكوب يمكنك واخوتك المكوث معي في مزرعة الجبل الازرق.

نظرت اليه روبين بتعجب. كم أرادت تفجير دموعها السجينة، فعرضه جيد جداً ويضع نهاية لمتاعبها. لكن وجود كلاريسا في المزرعة يعقد الامور ويجعل قبولها لهذا العرض مستحيلا فاجابته:

- لا مستحيل.

- ولماذا؟

- علينا الاحتفاظ بكرانيتكوب.

- يا لك من فتاة عنيدة... كم عمرك؟

- عشرون سنة. أخبرتك ذلك من قبل.

- اخبرتني أشياء اخرى لا صحة لها.

وظهرت ابتسامة رقيقة على وجهه ثم اقترب منها رافعاً وجهها بيده محدقاً بعينيها الواسعتين. وتسارعت دقات قلبها وسارت في عروقها أحاسيس مجهولة. فاضاف بهدوء:

- انك فتاة نادرة يا روبين سلون.

ثم ابتعد عنها قليلا واستمر قائلا:

- حان الوقت للعودة الى العمل. دعيني أساعدك.

وسألته بدهشة:

- أنت؟
- نعم أنا.
- لكن... لماذا؟
- هل يهم السبب؟
- حسناً... كما تشاء.

كانت روبين تعتقد ان دين مورناي لا يصلح للعمل في الحقل، ثم ما لبثت ان اكتشفت خطأها. قضى دين النهار بطوله وهو يحضر الماء من النهر لسقي الزرع ولم يظهر عليه التعب أبداً. وبين الحين والآخر كانت روبين تختلس نظرة سريعة ناحيته، ولمحت في عينيه نظرة غاضبة علمت روبين أنها ناتجة عن اصرارها بالاحتفاظ بالمزرعة. أحست بقوة وسحر وجوده جانبها، وتساءلت عما ستكون ردة فعل كلاريسا لو رأت دين مورناي يعمل مع روبين جنباً الى جنب. كانت الشمس على وشك أن تغيب حين أنهى دين عمله فشكرته روبين، مقدرة مساعدته مهما كان هدفها. وقبل رحيله التفت ناحيتها وقال:

- روبين... اريدك أن تعديني شيئاً.
- ماذا؟
- أعلم أنك واثقة من قدرتك على الاعتناء بنفسك، لكن

ينتابني القلق كلما فكرت بك...

- الجواب لا. لن أبيع المزرعة.
- روبين... لم أكمل حديثي بعد.
- آسفة.
- انك ولا شك فتاة بارعة لكن ربما تتعرضين لمتاعب مختلفة، حيث انك فتاة في مطلع عمرك وبمفردك ولا يوجد أحد لحمايتك سوى اخوتك الاصغر سناً...

كانت روبين تعلم جيداً أنه يتذكر الخطر الذي تعرضت اليه من المتشرد.

ثم أضاف دين قائلاً:

- كنت سأطلب منك وعداً.
- حسناً ما هو؟

ارتبكت روبين لوجوده قربها وارتعش جسمها. ترى ما هو الوعد الذي يصر على الحصول عليه؟

- اذا اعترضتك أية مشكلة، أريد منك ان تأتي الي لاستشارتي.

أومأت روبين بالايجاب. وقال دين بعد أن أخذ وجهها بين يديه:

- حسناً. اتفقنا اذن.

ولمحت روبين في عينيه نظرة حنان ودفء، ابتهج لها

قلبها... وفاجأها دين بمعانقتها مما جردها من قدرتها على التفكير بوضوح. كانت واثقة انه سمع دقات قلبها، ثم ابتعد عنها بسرعة خاطفة. اعتلى صهوة حصانه واختفى خلف الاشجار وفي ظلمة المساء. أخذت روبين تتذكر بعد رحيله، معانقته لها. أكانت فعلا معانقة هيام أم مجرد لمسة لا أثر فيها لأي حب وشوق؟

لكن مهما كانت فلا شك أنها جعلت الارض تدور حول روبين، وهزت اعماقها من جذورها وحملتها الى ما فوق الغيوم، وأفقدتها اتصالها بالحاضر، وأحست كأنها محمولة على اجنحة الى نجمة اختطفتها الى عالم جديد لا يسكنه احد.

جلست روبين حول مائدة الطعام في المساء، ولم تجد اي شهية للاكل. كانت ما تزال تحت سحر العناق الذي جمعها بدين قبل رحيله. نظرت اليها آنا بقلق وقالت:

- روبين هل أنت بخير؟

- طبعاً... أشعر بقليل من التعب فقط.

- عليك بتناول طعامك لاستعادة نشاطك... هل أقلقك السيد مورناي؟

- لا... أبداً.

- الم يهددك مثلاً؟

- يهددني؟

تفاجات روبين لهذا السؤال اذ كان دين في هذا الحين محور افكارها، لكن لسبب يختلف تماماً عما تعتقده آنا. فأضافت روبين قائلة:

- لا... لم يهددني أبداً.

وفكرت روبين بمعنى تصرفات دين تجاهها اليوم. فقد أظهر صفات لم تفكر روبين يوماً بأن تنسبها اليه. ترى هل هو ماكر؟ هل يحاول التلاعب بعواطفها للتوصل الى هدفه، وهو الاستيلاء على المزرعة؟ رفض قلبها هذه الامكانية البغيضة. لكن عقلها أبى أن ينكرها. لماذا يهتم دين بروبين في حين تسكن منزله حسناء فاتنة تفوق روبين جمالاً ورقة وأنوثة. لا بد أن دين يسعى وراء هدف ما وعليها أن تكون حريصة.

جعلتها هذه الفكرة تستعيد اتصالها بالواقع وشرعت تتناول طعامها مدركة أهمية الاعتناء بصحتها وقوتها الجسدية للمثابرة في عملها. فلن تدع لدين أي فرصة تؤهله انهاء الرهن.

خيّم على قلبها شعور بالحزن. كان من السهل مقاومة دين مورناي حين لم يعن لها شيئاً، لكن بعد اليوم بات شعورها نحوه مختلفاً جداً وعلمت انه آخر انسان تريده كعدو لها.

٥ ـ طارت . . . وسكنت نجمة .

جلست روبين بعد العشاء في غرفتها، تعد لائحة التكاليف الشهرية التي يتوجب دفعها. انهمكت في عملها للحظات طويلة حتى ملت منه، فقررت الخروج للتنزه في الحديقة علها تستعيد نقاوة تفكيرها. كانت روبين تعلم مصدر قلقها وارتباكها. احتاجت للاختلاء بنفسها، فربما توضحت لها عواطفها. تذكرت أيام الدراسة حين كانت تستمع لصديقاتها يتحدثن عن مغامراتهن المختلفة. وكم شعرت أنها تختلف عنهن. كانت تفضل ركوب الخيل على الخروج برفقة صبي الى حفلة راقصة مثلاً. ومراراً ما قرأت روبين قصصاً عاطفية، حين اجبرها الطقس الممطر على المكوث في البيت، لكنها لم تجد اي

ارتباط لها بالواقع، ولم تترك في نفسها أي أثر. ها هي تدرك اليوم، أنها فعلا تعاني من شعور ولد في داخلها منذ أيام لكنها تجاهلت وجوده.

كان الحب بالنسبة اليها شعوراً لا تعلم عنه شيئاً. حتى انها اعتقدت انه اختيار ستواجهه يوماً، ولم تدع نفسها تفكر به لوقت طويل، اذ كانت دائما منهمكة بأمور أخرى لا علاقة لها بالعواطف اطلاقاً.

والآن ماذا حل بها؟ لماذا يتجاوب قلبها بهذه القوة مع دين مورناي؟ فهو أشبه برجل متزوج. أليست كلاريسا المرأة التي ستحل مكانة زوجته في المستقبل؟

وحملتها ذكرياتها الى ذلك اليوم، حين قابلته لأول مرة واعتقد بأنها رجل. أرادت أن تكون متساوية له. لكن مستحيل! فهي تعلم الآن أنه قبل بتمديد مهلة الدفع لاسباب شخصية تخصه، ولم يكن قبوله تجاوباً لتوسلاتها.

كم بدا لها ذلك اليوم في الماضي، وكم تغيرت مشاعرها منذ ذلك الحين! الآن تريد دين مورناي أن يعاملها كامرأة. أن يودها، ويريدها... وراحت روبين تتنزه بين الأشجار، تتنشق عبير الازهار الاستوائية، وتتأمل نجوم الليل التي تلمع في السماء الصافية. تسرب التعب الى جسمها فقررت العودة الى غرفتها. هرعت الى خزانة الثياب وتناولت منها ثوب أمها الرائع

الذي سبق أن ارتدته من قبل، نزعت ثيابها وارتدته من جديد، وراحت تتأمل نفسها في المرآة. فالثوب يلائم قامتها النحيلة وخصرها الرشيق. كانت قماشته من النسيج الحريري الصقيل، ولونه مشرقاً، ارتدته والدتها لحضور الحفلات العديدة التي كانت تذهب اليها برفقة زوجها قبل انتقالهما الى المزرعة.

جعلها الثوب تشعر بانوثة لم تألفها من قبل. فجلست أمام المرآة تسرح شعرها ثم تناولت بعض ادوات التجميل وراحت اناملها التي تفتقد للخبرة تضع أحمر الشفاه وكحل العين، وحين نظرت الى نفسها من جديد، رأت في المرآة صورة مختلفة تماماً.

وفجاة سمعت صوتاً خفيفاً خلفها ينادي:

- روبين...

فالتفتت بسرعة وقد أدهشتها رؤية دين مورناي في غرفتها. فهي لم تسمع وقع خطواته مطلقاً. بقيا يحدقان أحدهما بالآخر بدون التفوه بأي كلمة. وكاد قلب روبين يخترق جسمها. حاولت ان تبتسم لكن تقلص عضلات وجهها جعل الأمر صعباً. فقالت بصوت مبحوح:

- لم أسمعك تدخل.

- طرقت على الباب ولم يرد أحد. أرى انك مشغولة...

كم بدت عيناه لامعتين! كان يحدق اليها بدهشة، متفحصاً

وجهها الطري والطريقة التي تهدل بها الثوب فوق قامتها.

تذكرت روبين أنه سبق وان رأى كتفيها العاريتين من قبل وكم انتابها الخجل حينذاك. أما الآن فشعورها يختلف. فهما بمفردهما في هذه الغرفة التي يضيئها نور الشمعة. وفي ذهن روبين لم تزل تجول اسئلة عديدة. ترى أيعتبرها دين امرأة بكل ما في هذه الكلمة من عطر ومعنى؟ فسألها دين قائلاً:

- من أين لك هذا الثوب؟
- كان لأمي.
- ولماذا ترتدينه أنت الآن؟
- كنت أجربه فقط. لم أتوقع دخولك المفاجيء الى غرفتي.
- أردت اعلامك بأمر ما. وحين وجدت الباب مفتوحاً دخلت.
- وما هو هذا الامر؟
- سأخبرك فيما بعد. لكن أريد ان أعلم أولاً هل انت ذاهبة الى حفلة رقص؟
- لا. أردت ارتداء الثوب لارضاء فضولي فقط، هل يعجبك؟
- انه حقاً جميل.

تشجعت روبين لهذا الاطراء واقتربت من دين قليلا وقالت:

- دين... هل أبدو فيه كامرأة؟

أجاب دين والابتسامة تعلو وجهه:

- طبعاً... مستحيل ان اعتقد انك روبرت.

وحين رأى خيبة الامل على وجهها أضاف:

- تبدين حقا رائعة... فاتنة... جذابة جداً.

وابتهج قلب روبين واقتربت من دين لشدة فرحتها وقالت:

- دين... أرجوك عانقني.
- روبين!
- أرجوك دين، تماما كما فعلت اليوم قبل رحيلك.

جمد دين في مكانه. كيف تشرح له روبين ان ما تحتاجه هو برهان لما قاله حين وصفها بجذابة.

- دين أرجوك...

اقترب منها اكثر وقال:

- روبين أتعلمين كم لي من العمر؟
- لا.
- خمسة وثلاثون.

كان صوته قاسياً. فهمست روبين بلطف:

- لا ابالي لعمرك.

جذبها دين نحوه وعانقها بلهفة، أحست روبين أنها تحلّق، التفت ذراعاها حول عنقه مداعبة بأناملها الرقيقة شعره الاسود

المجعد، وأحست بروحها تلتصق بروحه، ومن جديد غادرت روبين هذا الكوكب الى كوكب آخر فوق النجوم، ولم تعد تشعر بثقل وزنها على الارض وكأن الجو فقد جاذبيته. وعندما ابتعد عنها دين تفاجأت روبين لجفائه وصاحت بيأس:

- دين...

- يكفي هذا.

- ما الذي يغضبك؟

واغرورقت عيناها بالدموع.

- ألا تعلمين ما تفعلين؟ أنت الآن أشبه بعروس البحر المستلقية فوق صخرة، تجذب بحارة السفينة لهلاكهم. هزّت روبين رأسها واحست انها فقدت دين من جديد، اذ وسع الشق بينهما ولم تعد قادرة على الاقتراب منه.

- أهي كلاريسا السبب وراء غضبك؟

- كلاريسا!

وضحك دين ثم اضاف:

- أعانق من أشاء ومتى اشاء. لكن كلاريسا على الاقل تحتك بفئة من الناس تناسبها.

- لا أفهم ما تعني بذلك.

- أخبرتك عن عمري، أتذكرين؟

- نعم أذكر.

وفهمت روبين حينئذ ما يقصده دين وغمرها شعور بالخجل. فهي خيبت أمله بها، ولا بد انه يعتبرها عديمة الخبرة ولم يجد اي متعة في معانقتها. فقال مقاطعاً حبل تفكيرها:

- تفهمين ما احاول قوله أليس كذلك؟

- طبعاً.

- اذن لننسى ما حدث هنا الليلة.

أن تنسى! أبداً... لكنه سينسى ما حصل اذ لم يعن له الامر شيئاً، فحاولت روبين التصنع بالهدوء ونجحت باظهار ابتسامة على شفتيها. وقال دين:

- سارحل الآن. طابت ليلتك يا صغيرتي.

وحين اقترب من الباب التفت من جديد وقال بصوت جدي:

- دعي الأبواب مقفلة، لا تعرضي نفسك واختك للخطر، اذ يمكن لأي عابر سبيل ان يستغل الموقف أم أن هذا ما تريدينه؟

تملّكها غضب شديد كما لم تشعر من قبل أبدا واجابت:

- اذهب الى الجحيم دين مورناي.

- حسناً سأذهب، لكن لم أخبرك عن سبب مجيئي لزيارتك بعد. جئتك بأدوات جديدة للاستعمال في الحقل. فهل يهمك الامر؟

ـ لا شكراً.

أجابت بجفاء. حتى لو كانت قلبياً ترغب بتزويد المزرعة ببضاعة جديدة، لكنها أبت ان تقبل احسانه وفي ظروف كهذه فاجاب:

ـ لننسى ذلك أيضاً اذن. نامي بسلام.

ـ بكل تأكيد.

وغادرها دين مورناي. وبقيت تزرع أرض الغرفة بخطواتها المضطربة. آوت الى فراشها وحاولت دون جدوى ان تستسلم للنوم. لكن في قلبها كانت تتصارع عواطف مضادة ومتشابكة...

تتنقل بين خيبة الامل وشعور خفي بالاثارة. تساءلت عما اذا كان يمكن لها ان تنسى دين مورناي والعناق الذي ضمها. ايمكنها نسيان صدره الواسع ودقات قلبه تندمج مع دقات قلبها؟ كم أرادت أن تبقى في طيات حنانه وان ينساها الزمن.

في الصباح كانت منهكة من التعب، لكنها أرغمت نفسها على مغادرة فراشها ولم تستجب لرغبة جسمها الجامحة بالبقاء في فراشها والاسترخاء.

تذكرت كلمات دين مورناي حين وصفها بحورية البحر. دل وصفه على انها رائعة الجمال، ولم تجد اي علاقة لها بهذا التشبية... فهو يلائم كلاريسا أكثر فهي الحسناء الجذابة التي

تسحر الرجال بطريقتها المغرية. في أي حال لم يعد يهمها ما قاله دين، فأمامها يوم عمل. فارتدت ثياب العمل ثم تذكرت ما قالته لها أمها يوماً:

ـ روبين سيأتي اليوم الذي ستتخلين فيه عن تصرفاتك الصبيانية، اذ سيأتي رجل يوقظ في داخلك شعوراً بالانوثة والحنين للاحساس بأنك امرأة.

ويبدو أن اليوم اتى وظهر الرجل المنتظر. لكن لماذا شاء القدر ان يقع هذا الحدث المهم في هذا الوقت المعين من حياتها، وعلى يد رجل لا أمل لها بامتلاك قلبه أبداً؟

٦ ـ غلب المرّة

ومرت الأيام... وحاولت روبين بجهد ان تطرد دين مورناي من تفكيرها فانهمكت بعملها وبدأت تقطف ثمار الجهد المتواصل الذي بذلته خلال الأشهر الماضية، اذ انتجت المزرعة ما يكفي من المال لدفع قسط الرهن الشهري، ومزيداً من المال ادخرته روبين لتتمكن من اعادة المياه الى المزرعة في المستقبل القريب.

وفي مطلع الشهر، حين آن الأوان لدفع القسط الشهري للسيد مورناي، أرسلت ميكي ليقوم بهذه المهمة بدلاً عنها. ارادت تفادي رؤية دين مورناي من جديد، لكنها لم تستطع مقاومة شعورها بالندم والخيبة لرؤية ميكي ينطلق على ظهر

حصانه متوجهاً الى مزرعة الجبل الازرق، فلقاء دين مورناي أهم ما يريده قلبها وآخر ما يريده عقلها وهكذا يتفاعل الصراع داخلها.

غابت الشمس وهمت روبين بالعودة الى المنزل، حين سمعت حصانا يقترب ناحيتها، أدركت مباشرة انه دين مورناي. التقى نظرهما وبقيا يحملقان احدهما بالآخر دون التفوه باي كلمة. تأملت روبين يديه المسيطرتين على الحصان بقوة وسلطة. يداه اللتان أمسكتا بها في شوق ولهفة حاملتين اياها الى ما فوق النجوم، وكانت قميصه تلتصق بجسمه مظهرة عضلات صدره القوية. وشفتاه الممتلئتان تظهران ابتسامة خفيفة، أما عيناه الرماديتان فتحملان نظرة غامضة أقلقت روبين، فارتعشت وتسمّرت في مكانها. كم حاولت ان تبقى هادئة وهي امامه وان تنسى كيف عانقها وجذبها اليه وكأنه يرغبها بكل جوارحه. لكن لرؤيته من جديد عادت هذه الذكرى الى مخيلتها بوضوح. وانتابها شعور انه لم ينس ما حصل ايضا. كان دين اول من اخترق جدار الصمت حين قال:

ـ حسناً روبين.

ـ حسناً؟

ـ هل كل شيء على ما يرام؟

ـ نعم. هل استلمت قسط هذا الشهر؟

ـ نعم.

كان صوته ساخراً وكأنه يعلم السبب وراء ارسال المال بواسطة ميكي.

ـ اذن ماذا تريد؟

ضحك دين مورناي لسماع نبرة صوتها الغاضبة، ونزل عن حصانه واقترب منها ثم امسك بوجهها بين يديه محدقاً بعينيها وقال:

ـ هل أخيفك؟

ـ لا.

وابتسم من جديد واجاب:

ـ لم أعد أعلم متى تقولين الحق، جئتك بدعوة.

ـ دعوة؟

ـ دعوة لحفلة سأعدها في منزلي، يتخللها الرقص وتناول العشاء. والدعوة تشمل جميع أفراد أسرتك. فماذا تقولين؟

ـ أقبل دعوتك بكل سرور

يسر روبين حضور الحفلة، خاصة بعد مضي وقت طويل منذ حضرت آخر حفلة. ونظرت اليه وقد احتل اللطف عينيها بدلاً من الغضب وقالت:

ـ ماذا تريدني أن أرتدي.

ارتدي ثوبا جميلا طبعا هل لديك ما يلائم؟

- لدي الثوب الذي كنت ارتديه ذلك المساء...
وتوقفت قليلا تلتقط أنفاسها ثم تابعت:
- أتذكر الثوب؟
- طبعاً.
- ألم يعجبك؟
- أعجبني لحد بعيد لكنه يلائم حفلة راقصة رسمية، ستحتاجين لثوب مختلف لهذه المناسبة يا صغيرتي.
صغيرة! ها هو ينطق بهذه الكلمة البغيضة من جديد فابتعدت عنه بغضب فقال:
- ما الذي فعلته الآن؟
- يغيظني حين تطلق علي كلمة «صغيرة» لم أعد طفلة بعد الآن، ربما لم تلاحظ بعد لكنني امرأة. وجذبها اليه وداعبت أنامله وجهها الرقيق وقال:
- انك فعلاً امرأة، لكنك مازالت طفلة في بعض الأمور لذلك...
وتلاشت كلماته وكأنه يخاطب نفسه فسألته روبين قائلة:
- ماذا؟
كان يحدق بها. غابت السخرية عن وجهه فأضافت روبين تخاطبه:
- دين... ماذا كنت تقول؟

- قلت انني اريدك أن تشتري لنفسك ثوباً يلائم الحفلة، ولانا أيضاً. سأرسل كلاريسا لترافقكما الى المدينة
- دين...
واقتربت منه اكثر فصاح قائلاً:
- روبين كفي عن تعذيبي، من الأفضل لك ان تهتمي برجل من عمرك.
لا شعورياً، وكأن موجة من الغضب سحقتها كليا، رفعت روبين يدها وصفعته على وجهه، شحب لونه وظهرت في عينيه شرارة خطيرة فقال لها:
- ربما انت هرة ماكرة، لكن لا تحاولي ان تعيدي ما فعلته الآن مرة اخرى.
- وربما انك عجوز لكن لا تخاطبني بهذه الوقاحة مرة اخرى.
وبقيا يحدقان احدهما بالآخر لمدة طويلة كانت يداه حول خصرها فأبعدها عنه بعنف وتوجه نحو حصانه ورحل.
أدركت روبين، بعدها، انها لن تراه بعد الآن إلا بشأن عمل في كل حال هذا أفضل لكليهما... لكن كيف تتحرر من هذه الكآبة المخيمة على قلبها؟ فهي لم ترغب يوما ان يصبح دين موروناي مهما في حياتها الى هذه الدرجة. فلمجرد رؤيته يكتسب نهارها معنى وفرحا ورونقا لا مثيل لهم.
وخضعت روبين للأمر الواقع وهو انه لن يكون بينها وبين

دين أي اتصال في المستقبل، سترسل ميكي لدفع القسط الشهري كلما حان الوقت.

لم تصدق روبين عينيها حين رأت سيارة تقترب من المزرعة يوماً. وقفت تتساءل عن هوية الزائر، حين اتضح لها انها كلاريسا. دهشت وبعد ان زالت عنها الصدمة اقتربت من السيارة لتستقبل زائرتها. كانت كلاريسا تتألق بثوب رائع وقد اعتنت بمظهرها الى آخر حد. وابتسمت لرؤية روبين وقالت:

- عزيزتي روبين تسرني رؤيتك من جديد.

- أهلا كلاريسا. كم تمنت روبين ان توازي كلاريسا انوثة واتزانا ورشاقة. فثيابها المهملة الصبيانية وشعرها المبعثر، انكمشت روبين على نفسها، وشعرت بأنها فعلاً طفلة حين تقارن نفسها بهذه السيدة الانيقة الجذابة.

وتذكرت روبين ان عليها التصرف بتهذيب وقالت:

- هل تتفضلين الى الداخل؟

- بكل سرور.

فاصطحبتها الى شرفة المنزل حيث تتدلى من الجدران نباتات وأزهار من جميع الأنواع. منها أزهار الكاميليا والازيليا. كانت روبين تفضل الشرفة على أي مكان آخر في المنزل اذ تشرف على جبال خضراء شامخة. بدا التعجب على وجه كلاريسا، حين رأت روبين تحضر صينية محملة بالمرطبات والكعك الطازج

الذي طهته آنا لتوها.

تناولت كلاريسا عصير الليمون المنعش، ثم همت بالتطرق الى سبب زيارتها المفاجئة فقالت:

- روبين متى سيسنح لك ولآنا الوقت بمرافقتي الى المدينة؟

- المدينة؟

- لشراء بعض الثياب، ألم يخبرك دين عن الحفلة التي ستقام في منزلنا؟

- لم أعلم... أعني... لم اعتقد...

- روبين! لكن دين اخبرني انكما اتفقتما على ان آتي يوماً، واصطحبك وآنا الى السوق لشراء ثوب لكليكما.

- صحيح... لكن...

وتوقفت روبين قليلا لتفكر بما يجري. اقترح عليها دين ان يرسل كلاريسا لمرافقتها وآنا الى المدينة للتبضع لكن ذلك كان قبل مشاجرتهما، واعتقدت روبين انه لم يعد يرغب بوجودها أو بوجود اي فرد آخر من أسرتها في حفلته. لكن هل أخطأت في حكمها؟

- روبين! ماذا تنتظرين؟ هدايا من هذا النوع لا تأتي كل يوم.

- لكنني لا أريد شفقة السيد مورناي.

- روبين... اهدأي. ان هدف السيد مورناي من هذه

الهدية ليس الشفقة انما... اعذريني لا أقصد اهانتك... فيما انه دعاك وأسرتك لحضور الحفلة، فهو حريص على ان تأتي وآنا بثياب ملائمة.

حدقت روبين بكلاريسا لوقت طويل ونسيت ان ترد على قولها. كانت تفكر بالسبب وراء كرهها لكلاريسا، تذكرت كيف انها أعجبت بها لحد بعيد حين رأتها لاول مرة، وكيف انها حتى حاولت تقليدها. فلماذا تغير شعورها تجاه هذه المرأة؟ ألأنها متصلة بدين مورناي اتصالا حميماً؟

لكن لماذا تهتم؟ فدين مورناي سيتزوج يوماً، وكلاريسا تلائمه جدا، حتى لو لم تكن تليق بأن تكون زوجة مزارع. فالمرأة التي ستتزوج دين مورناي لن يتوقع منها العمل في الحقل، بل الارجح ستكون ربة بيت تستقبل الضيوف، وتشرف على تنسيق الحفلات الاجتماعية العديدة التي يقيمها في منزله. وكلاريسا بامكانها الاشراف على هذه المهمة على أكمل وجه. لكن الأمر الذي يؤلم روبين، هو التفكير بكلاريسا كزوجة لدين. فهي ستشعر بالمثل نحو أي امراة توحي لها بهذه الفكرة. قاطعت كلاريسا افكارها قائلة:

- روبين. تبدين كأنك رأيت شبحاً.

وضحكت كلاريسا مما جعل روبين تنتفض في كرسيها مدركة انها شردت بالتفكير لوقت طويل فأجابت:

- آسفة. لم أقصد التحديق بك... كنت أفكر...

- لم تقولي لي بعد متى سيمكنك مرافقتي الى المدينة؟

- غدا بعد الظهر اذا امكن.

- بكل تأكيد. سآتي لاصطحابك وآنا غدا الساعة الواحدة بعد الظهر.

وهمت كلاريسا بالرحيل ثم اضافت.

- شكرا على الشراب اللذيذ.

تمعنت آنا بالمرآة سعيدة لما تراه. اختارت لها كلاريسا ثوبا من اللون الازرق الشاحب، تزينه أزهار صغيرة لطيفة. كم تمنت آنا ان ترتدي ثوبا مثله، بهذه الانوثة وهذا الرونق. اما روبين فكانت في حيرة من أمرها، اختارت لها كلاريسا ثوباً زهري اللون بينما وقع اختيارها على ثوب أخضر يشبه الى حد ما الثوب الذي كانت ترتديه حين فاجأها دين في غرفتها تلك الليلة. كان الثوب يظهر خصرها الرشيق ويكشف على لون بشرتها الاسمر ويلائم لون عينيها الاخضر. لكن كلاريسا أصرت على أن الثوب الزهري يلائم شخصية روبين اكثر، ووافقت روبين على انه جميل حتى لو انها تظهر فيه كفتاة في مطلع عمرها، بينما يبرز الثوب الأخضر انوثتها وتبدو فيه كامرأة.

وبعد الحاح من كلاريسا، رضخت روبين لاختيار الثوب الزهري المتحفظ. فقبل كل شيء دين مورناي سيدفع ثمنه

وعليها احترام رأي كلاريسا.

وفي اليوم المعين للحفلة انتهى العمل في مزرعة كرانيتكوب باكراً. ومهما فعلت روبين لتقنع نفسها أن الحفلة لا تعني لها شيئاً سوى مجرد قبول رسمي لدعوة تلقتها من السيد مورناي، لكنها فشلت في محاولتها اذ مابرحت غبطة آنا واخوتها أن تسربت اليها أيضاً واستعد الجميع للرحيل.

فبعد ان اتخذت روبين حماماً وجففت شعرها الذي بات يصل الى كتفيها، مما اسعد روبين لرؤيته ينسدل فوق ظهرها مرة اخرى، ارتدت فستانها ووضعت الكحل وأحمر الشفاه. أسرها ما رأت في المرآة. فهي فعلا تبدو مختلفة.

وصلا الى مزرعة الجبل الازرق. كانت الشمس قد غابت خلف التلال والبيت مضيء بأنوار تتدفق من جميع غرفه ومن الحدائق التي تحيطه أيضاً. جاء دين لاستقبالهم وحاولت روبين الاحتفاظ بهدوئها وعدم تأثرها لرؤيته، لكنها أخفقت في تهدئة نبضات قلبها السريعة حين التقت نظراتها. كان يرتدي طقماً أنيقا يلائم قامته الطويلة ووجه الوسيم، ويدعم مظهر السيادة الذي يوحي به. فكرت روبين بذهنها انه اجمل رجل رأته في حياتها، وأول رجل حرك داخلها عواطف متعددة لم تشعر بها سابقا.

القى عليها التحية ثم لرؤية آنا اقترب منها وقال:

- أهلاً آنا. تبدين جميلة للغاية.
- شكراً سيد مورناي.

كانت عينا آنا تشعان من الفرح. ثم اقترب دين ليحيي ميكي وتيموثي حين وصلت كلاريسا لتستقبلهم. انقبض قلب روبين وكأنها لم تتوقع رؤيتها، ولم الغرابة وكلاريسا مقيمة في المنزل ومن الطبيعي جداً ان تقوم الليلة بدور المضيفة. ومن المعروف انها ستصبح زوجة دين مورناي في المستقبل القريب.

ارتدت كلاريسا ثوبا مفتوح الصدر يكشف على ذراعيها وكتفيها، يلتصق بقامتها مظهراً رشاقة قدها بارزاً انوثتها الجذابة. ها هي ترتدي ثوباً من الطراز الذي ألحت على روبين الا ترتديه لأنه لا يلائم المناسبة. اقتربت من روبين وامسكت بذراعها قائلة:

- روبين تعالي... أريدك ان تقابلي شخصاً لطيفا.
- انا؟
- نعم أنت. صدقيني سيعجبك جداً.

كيف سيعجبها ان لم يكن دين؟ ولهذه الفكرة انكمش قلبها. رفضت ان تعترف لنفسها بالمعنى الكامن وراء هذه الفكرة فقالت متمردة على عواطفها:

- بكل سرور انها فكرة رائعة.

٧ - حديث خلف الأشجار

كان اسمه جوني اسعدته مقابلة روبين وبادلته هي الشعور نفسه. لكن لم ينتفض له قلبها، فوحده دين مورناي قادر على اثارة عواطفها وزرع الارتباك في اعماقها. لكن جوني رجل لطيف ووسيم، يعمل كمدير لشركة التبغ المجاورة لمزرعة كرانيتكوب. وهو في الوقت نفسه يدرس الزراعة في الجامعة. كان طويل القامة نحيلاً واسمر اللون. ادركت روبين انه لا يكبرها سوى بثلاث سنوات فقط. اظهر اهتماماً شديداً بروبين، مردداً على مسمعها كلمات الاطراء، معبراً بذلك عن اعجابه وتقديره. سمعت منه روبين جميع ما كانت تحلم ان تسمعه من دين مورناي.

أشتعلت النار في المدافىء وفاحت في الجو رائحة اللحم المشوي تختلط برائحة الازهار التي تحيط ارجاء المنزل، وفي السماء كانت تلمع نجوم الليل. وترنحت روبين من روعة المساء، واحست كأنها في عالم خيالي اجمل من ان يكون حقيقة. التف المدعوون حول النار، وغمر الجميع شعور بالغبطة والفرح. بقي جوني مع روبين لم يفارقها لحظة. وخلال انهماكهما في الحديث اقترب منهما دين وكلاريسا التي قالت والابتسامة تعلو شفتيها:

- حسناً روبين وجوني كيف تجدان الحفلة؟

نظرت روبين الى دين ووجدت لدهشتها ان الغضب يكسو وجهه ومرة اخرى بدأ قلبها يخفق بسرعة. كم تود ان تلمسه وكم يبدو الأمر مستحيلاً رغم انه قريب منها. ورداً على سؤال كلاريسا اجابت روبين:

- انها ولا شك حفلة رائعة.

- ربما مقابلة صديق جديد اضافت للحفلة رونقاً واهمية. اما قلت لك ان جوني سيعجبك جداً؟

يعجبها جوني طبعاً، لكن ليس الى الحد الذي تحاول كلاريسا ان تخلقه. فكيف تجرؤ هذه المرأة ان تنظم لها حياتها كما تشاء؟ واعتقدت روبين ان دين طلب من كلاريسا ان تعرفها بجوني. كم تكرههما في هذه اللحظة، فهي ليست دمية بين

ايديهما، ولا شأن لهما في التدخل في حياتها الشخصية. فاذا اعجبها جوني فالأمر يتعلق بها فقط ولا حاجة لكلاريسا او دين ان يتدخلا في الموضوع.

كانت على وشك ان تتكلم حين قال جوني:

- روبين فتاة رائعة. يسعدني اني امكث في هذه الجوار فذلك سيؤهلني لرؤيتها مراراً.

- يبدو ان الحفلة جلبت لكما الحظ اليس كذلك؟

ووضعت كلاريسا يدها فوق يد دين كأنها تطلب منه ان يدعم ملاحظتها، لكنه لازم الصمت وبدا عليه الغضب اكثر من قبل وفي الوقت نفسه كانت روبين تشتعل غيظاً.

ابتعد عنهم دين وتبعته كلاريسا. لاحقتهما عينا روبين وهما يختلطان مع جماعة من اصحابهما. ولرؤيتهما معاً يجدر الذكر انهما فعلاً ينسجمان شخصية ومظهراً. ومن جديد تسرب الألم الى قلب روبين، ذلك الألم الحاد الذي باتت معتادة عليه الآن.

كان جوني قد تركها لبرهة ثم عاد ومعه صينية محملة بالأكل وشراب عصير الليمون. شعرت روبين ان لا شهية لها للأكل، خاصة بعد رؤية دين وكلاريسا يتمتعان بوقت سعيد. لكن من المهم جداً الا تظهر حقيقة عواطفها وعليها التصنع بالفرح. وفيما بعد، حين تنزوي مع نفسها من جديد ستفكر بعواطفها محاولة تفسيرها وايجاد حل لها.

وسرعان ما وجدت روبين نفسها تتجاوب مع جو الغبطة والسرور الذي يخيم على الجميع. واسعدها وجود جوني قربها ليهتم بها ويجعلها تشعر بانها امرأة. تناولت طعامها ووجدته لذيذاً. وبعد ان انتهى الجميع من تناول الطعام وماتت النار في المدافىء، صدح صوت الموسيقى وغصت القاعة بالراقصين. انضم الى شملهم جوني وروبين التي نسيت جميع همومها وركزت انتباهها على الرقص مع جوني، محاولة تجنب النظر الى دين، لكن لم يكن ذلك سهلاً ابداً. لاحظت روبين ان دين رقص مع نساء عديدات خلال السهرة لكنه رقص مع كلاريسا معظم الوقت. وكم ازعج روبين رؤيتها يشاركان وقتاً حميماً اذ التفت ذراعا كلاريسا حول عنق دين تداعب شعره واتكأت برأسها فوق كتفه وتمسكت به كأنه ملكها. بلغت الساعة منتصف الليل حين اقترب دين من روبين ودعاها للرقص فاجابت:

- ربما من الأفضل الا ارقص معك.

لكنه لم يأبه لرفضها بل انتزعها من مقعدها وتوجه بها الى حلبة الرقص. التفت ذراعاه حول خصرها وحدق في عينيها بصمت ثم قال بعد لحظات قصيرة:

- هل وقعت في حب جوني بهذه السرعة؟ ام انها فكرة وجودك بين ذراعي التي تزعجك للدرجة التي ترفضين فيها

الرقص معي.

رغم شوقها الجامح للرقص معه والشعور بلمسة يديه اضطرت روبين ان تكذب وهي تقول:

- يمكنك ان تقول ان هذا الكلام صحيح!

اطلق دين ضحكة عالية واجاب:

- كلاريسا على حق فأنت ما زلت طفلة!

- اهذا ما تقوله كلاريسا؟

- نعم وهي على صواب.

اشتعل الغضب في داخلها مرة اخرى لكنها احست باليأس. ارادت ان تقول له اشياء كثيرة لتدافع عن نفسها، لكنها اخفقت في محاولتها. بقيت عيناها معلقتان بدين والخيبة بادية على وجهها ثم قالت بصوت خافت:

- دين...

لكنه وضع انامله فوق شفتيها قائلاً:

- لا تتكلمي، الا تعلمين ان الرقص والكلام لا يتفقان؟ وجذبها اليه وراحا يرقصان. تركت له روبين حرية التنقل بها، واحست كأنها يشاركان حلماً جميلاً ليته لا ينتهي ابداً. ثم اصطحبها الى بقعة خالية مظلمة، حيث يستحيل لاحد ان يشاهدهما. وهمست روبين من جديد:

- دين...

لكنه احبط كلماتها قائلاً:

ـ هس. . .

كان يعانقها مما جعل مشاعرها تنقلها الى عالم سحري، وراودتها افكار شتى تزاحمت في رأسها وكادت تشتتها عقلياً.

ثم فجأة، ابتعد عنها دين وتوقف عن الرقص. امتلأت عينا روبين بالخيبة لكنها سرعان ما اكتشفت سبب توقفه. لمحت وجود كلاريسا قربهما ويدها فوق ذراع دين وقالت:

ـ بدأ جوني يمل من وجوده بمفرده، فوجدت انه من الافضل ان اقاطع رقصتكما. روبين! هيا بك يا عزيزتي عودي الى جوني فهو لم يعد يحتمل الانتظار.

بدت في عيني كلاريسا نظرة سامة عدوانية وانتقل نظر روبين الى دين الذي بدا عليه الغموض ولم تستطع روبين قراءة التعبير على وجهه. اغاظها انه لازم الصمت ولم يظهر اي غضب.

عادت روبين الى جوني الذي كان منهمكاً بالتحدث مع احد المزارعين، واسعدته رؤية روبين من جديد لكن لم يبد عليه الملل من طول الانتظار، بل كان مهتماً باكمال حديثه.

استمرت الحفلة، لكن بالنسبة الى روبين ضاع السحر وتلاشى الضياء وحان الوقت للعودة الى المنزل. اقترح دين ان يصطحبها واسرتها الى منزلهم، لكن جوني اصر على ايصالهم ووافق دين بدون اي اعتراض.

ودعهم بتهذيب. كانت كلاريسا بقربه طبعاً وقالت لجوني:

ـ اعتن باصحابي الصغار كما اوصيتك.

انطلقت سيارة جوني حاملة اسرة سلون الى مزرعة كرانيتكوب، وبعد ان دخلت آنا واخوتها المنزل، بقيت روبين في السيارة برفقة جوني الذي امسك بذراعها قائلاً:

ـ روبين. ايمكنني زيارتك بين الحين والآخر؟

ـ طبعاً. يسرني ذلك.

بدا الفرح على وجه جوني واقترب منها ليعانقها، لكنها ابتعدت عنه قليلاً ولم يلح جوني، بل القى عليها التحية ورحل. وقفت روبين في ظلمة الليل تتأمل سيارته تبتعد وفي عينيها حزن وتعاسة. ها هو جوني يهبها ما تحلم به كل فتاة. الاعجاب والاحساس بأنها امرأة جميلة وفريدة من نوعها، اعطاها جوني الثقة في نفسها، ولكنه اخفق من اشعال نار الشوق في اعماقها كما فعل دين. فجوني لا يملك تلك الرجولة الخارقة التي يتحلى بها دين. لكن ليس من العدل ان تقارنهما، هكذا فكرت روبين في ذهنها.

مستحيل انها وقعت في حب دين. فما تعرفه عن الحب هو انه شعور موجود في عالم العواطف، لكنها لم تعرفه بعد بل ستجده يوماً ما. فربما ما تشعر نحو دين ليس سوى افتتان واعجاب بجماله الخارجي، فهو فعلاً رجل جذاب يكفي ان ينظر اليها

ليجعل قلبها يخفق بسرعة جنونية.

لكن الحب اهم من ذلك، وما تشعر به نحو دين لا يمكن ان يكون الحب الحقيقي، بمعناه الكامل. صوت باطني في داخلها كان يهمس بأنه الحب. ولم تستطع روبين اسكات هذا الصوت بل رضخت له في النهاية اجل هي تحب دين. عرفت ذلك منذ وقت طويل لكنها ابت ان تستسلم لهذه الفكرة، ربما ولد حبها له حين انقذها من المتشرد الخطير، او ربما منذ رأته لأول مرة حين زارت مزرعة الجبل الأزرق. لكن مهما كانت الحقيقة فلا امل لها بالنجاة، فالطريق مقفلة امام حبها. اذ سيتزوج دين كلاريسا يوماً، وعلى روبين ان تخضع لمرارة هذا الواقع وتحاول التغلب عليه. فالمرة المقبلة حين يأتي موعد الدفع ستذهب شخصياً الى مزرعة الجبل الازرق لتواجه دين فهي لن تستطيع ان تتجنبه الى الابد.

وفي اليوم المعين انطلقت روبين في طريقها الى مزرعة الجبل الازرق. لم تلمح دين في الحقل، وتساءلت اين ستجده . . . ربما في المنزل. تركت حصانها فلاش في الاسطبل واقتربت من الشرفة وهناك لمحتهما. كانت روبين تقترب من الخلف ولاحظت انهما يتناولان القهوة ويتحدثان. همت روبين بابلاغهما عن وجودها حين سمعت اسمها يذكر خلال حديثهما. كانت كلاريسا تخاطب دين، فاختبأت روبين وراء

الشجرة تستمع:

- انه يوم الدفع اليس كذلك؟ تباعاً لرقصتها معك خلال الحفلة، ينتابني شعور انها ستأتي شخصياً اليوم لتدفع القسط.

وتوقفت كلاريسا قليلاً ثم اطلقت ضحكة عالية واضافت:

- يا مسكين. لا اعلم ما الذي يجعلك تهتم لامر طفلة في سن الدراسة، باتت روبين مصدر احراج، الا تعتقد ان علي التحدث اليها؟

وضحك دين ولم تنتظر روبين لسماع جوابه. بل انصرفت بصمت شديد، تماماً كما اتت، ولم تنتبه لارتعاش جسمها الا حين اعتلت صهوة حصانها وعادت ادراجها. على الاقل لم يعلم دين وكلاريسا بوجودها، فهي لن تحتمل احراجاً اضافياً.

وصلت حقل مزرعة كرانيكوب ولمحت اخيها يقطف ثمر المانغو فنادته وسلمته المال، ثم راقبته بحزن وهو ينطلق ناحية مزرعة الجبل الازرق. عادت روبين الى المنزل، حيث ارتدت ثياب العمل وانهمكت في احضار الماء من النهر. ارادت نسيان نفسها وتعاستها، فيا لها من غبية لتعتقد ان مشاعرها نحو دين سرية، لا يعلم بها احد. اذن يجد دين وكلاريسا ان الأمر مضحك. ودبرا لها لقاء مع جوني، ارادا الهاء الفتاة الصغيرة بدمية جديدة. اللعنة عليهما. . . والتهمها غضب شديد. لكن الغضب شعور يمكنها تحمله بينما لا تقوى على تحمل اي شخص

يهزأ منها ويضحك على تصرفاتها.

ستجد طريقة لتبرهن لدين انها ليست طفلة ولن تسمح له بان يهزأ منها ابداً بعد الآن.

٨ - وغربت السعادة

دفنت روبين نفسها في عملها. كانت تستيقظ قبل شروق الشمس وتذهب الى فراشها بعد ان ينام الجميع. فبعد سماعها كلمات كلاريسا الجارحة التي تبعتها ضحكة دين الساخرة، كرست روبين وقتها بكامله للعمل. ولم تسمح لنفسها بالراحة الا حين يزورها جوني. كان يأتي في عطلة الاسبوع فقط اذ يصعب عليه زيارتها خلال الأسبوع بسبب ضيق الوقت. اصطحبها مراراً الى دار السينما ليلة السبت، وصادفا مرتين دين وكلاريسا. اظهرت لهما كلاريسا لطفاً عارماً مطلقة تعابير اطراء على نجاح علاقاتهما وكيف انهما يشكلان ثنائياً رائعاً. استجابت لها روبين بابتسامة صفراء مظهرة انها وجوني من اعز

الاصحاب. فروبين حريصة على كتم حقيقة شعورها، خاصة شعورها تجاه دين الذي لم يزل ثابتاً صامداً لا يتغير. لكن دين لم يزل مصراً على التظاهر بالغموض وفي كل مرة قابل فيها روبين، بقيت ملامح وجهه جامدة مجردة من اي تعبير. ربما انه لا يبالي، هكذا فكرت روبين بذهنها.

جلست روبين تعد حسابات الشهر الذي انتهى وفوجئت بأن انتاج المزرعة، اورد مبلغاً محترماً من المال. اذ كان لديها ما يكفي لدفع قسط الرهن، واعادة الماء الى المزرعة. لم تصدق روبين عينيها، اطلقت هتافاً عالياً جعل آنا تسرع من المطبخ لتستفهم عما يجري، فبشرتها روبين بالخبر وشرعتا ترقصان من الفرح. انضم اليهما ميكي وتيموثي. ثم اسرعت روبين الى الهاتف واتصلت بجوني واخبرته، ثم سألته عن موعد زيارته الاسبوعية الى المدينة واخبرها انه ينوي الذهاب في الغد ويسره اصطحابها.

وفي اليوم التالي، وبعد ان انهت عملها، استعدت روبين ليوم من اسعد الايام التي عرفتها منذ وفاة والديها. احست بنشوة الانتصار وكأنها حققت وعادت الى ذهنها ذكرى العمل الشاق الذي قامت به يوماً بعد يوم، لسقي الزرع وكسب عيشها وعيش اسرتها. فاليوم اجمل يوم مر عليها منذ زمن. ارتدت الفستان الزهري الذي سبق ان ارتدته في الحفلة

وسرحت شعرها. وظهر في عينيها الخضراوين بريق من السعادة. فكل شيء حولها يوحي بالفرح شيء واحد فقط ينغص تفكيرها ... لا لن تفكر بدين، لن تدعه يحطم غبطة هذا اليوم، فبالنسبة الى روبين المستقبل اهم وهو يبتسم لها الآن. رأت مزرعة كرانيتكوب تزدهر من جديد باشجار الليمون، وتخيلت لون العشب الاخضر الخصب الذي سيعم ارجاء المزرعة بعد اعادة الماء اليها. وهكذا ستنتج المزرعة مالاً اكثر. وذلك يعني ان آنا وتيموثي وميكي سيمكنهم ان يفكروا جدياً بمستقبلهم، وما يحلمون بتحقيقه، اما هي! فلا تعلم مصيرها بعد. انها تحب كرانيتكوب وخاصة الآن، اذ تعلقت بها اكثر من اي وقت مضى، فقد اعطت كل ما لديها من تضحية لانقاذ المزرعة من التلف الكامل. والآن عاد الأمل، فبامكانها تحويل المزرعة من ارض ذابلة جافة الى حقل غني بالمزرع. لكن هل سيسعدها انفرادها بالمزرعة بعد ان يرحل الجميع؟ لا .... لم تحسب ان يكون مستقبلها قاتماً لهذا الحد. كانت تفكر بدين، فهو ينجح دائماً بالتسلل الى افكارها لكن عليها صده ولن تسمح لنفسها بفقدان فرح هذا النهار.

سمعت صوت سيارة جوني فأسرعت الى الخارج لتقابله.

- تبدين فاتنة.

برقت عيناه وبدت ابتسامة على وجهه.

- شكراً جوني فانا اسعد انسانة اليوم.

انطلقا معاً نحو المدينة. اوقف جوني سيارته في ناحية من الشارع الرئيسي مخصصة لوقوف السيارات. وبعد ان اتفقا على التقابل قرب السيارة بعد انتهائها من عملها، انطلقا كل واحد في سبيله. اسرعت روبين الى مركز البلدية، حيث قدمت طلباً لاعادة الماء الى المزرعة ودفعت المال المطلوب. وحال انتهائها خرجت وهي في نشوة من الفرح. اوقفها صوت مألوف انتفض له قلبها. انه صوت دين مورناي يناديها، فالتفتت ناحية الصوت وقد شحب لونها فابتسم دين قائلاً:

- ما بالك؟ ارأيت شبحاً؟

تسارعت الكلمات الى شفتيها ثم قالت:

- لا ابداً.

لا شيء فيه يوحي بانه شبح، بل انه حقيقي بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين، وعينيه المفعمتين بالحياة وشعره الاسود:

- اذاهبة الى مكان معين؟

- لا... اعني نعم...

كم تمنت لو انها لم ترتبك.

- حسبت انك قصدت المدينة في مهمة خاصة اليوم، تبدين ساحرة.

- شكراً دين. انت على صواب، اني في مهمة خاصة.

وابتسمت بطريقة فاتنة مغرية فقال دين:

- اين تعلمت هذه الابتسامة؟ تعالي اخبريني عن تفاصيل مهمتك خلال تناولنا طعام الغذاء معاً.

ترددت روبين قليلاً اذ تذكرت سخريته منها خلال حديثه لكلاريسا، وارادت رفض دعوته لكن جزءاً آخر منها كان يدفعها للقبول بقوة، جعلتها تنسى حقدها عليه، فسعادتها اليوم تغطي على اي شعور اخر.

كان المطعم قرب المكان الذي اوقف جوني سيارته فيه مما يعني ان روبين لن تضطر الى المشي مسافة طويلة بعد الغذاء للقاء جوني.

لم تقصد روبين هذا المطعم من قبل ابداً. ادهشتها اناقة المكان وحسن الذوق في الاثاث، انه بلا شك باهظ الثمن. اختار دين طاولة في زاوية منعزلة.

بادرته روبين الحديث قائلة:

- انك لطيف اليوم على نحو استثنائي.

ضحك دين واجاب:

- انه ثوبك الجميل الذي يجعلني اعاملك بلطف.

- المطعم هنا غاية في الجمال. اتحضر كلاريسا اليه خلال وجودكما في المدينة؟

تجهم وجهه وضاقت عيناه ثم اجاب:

- احياناً.

ثم ظهرت ابتسامة ساخرة على وجهه واضاف:

- اتمانعين؟

- لا ابداً.

- لنتكلم عن موضوع اهم اذن. لماذا اتيت اليوم الى المدينة؟

- سأخبرك بعد الغداء.

وقام دين باختيار اطباق الطعام وكانت جميعها لذيذة وشهية، ثم نظر الى روبين وقال متفحصاً وجهها البهي:

- كبرت بسرعة يا روبين الصغيرة.

كم تكره هذه العبارة لكنها اليوم لم تمانع لسماعها بل احتفظت بابتسامة على وجهها، مما اسعد دين وهم باختيار شراب مرطب لكليهما.

راحت عينا روبين تتفحصانه، تنقل نظرها فوق وجهه الاسمر الفاتن وحاجبيه السوداوين بشعرهما الكثيف، وعينيه الرماديتين الغامضتين متذكرة عطاءه الدافق السخي، وعناقه الذي لم ولن تنساه ابداً. وادركت روبين بفخر واعتزاز انها برفقة اجمل رجل موجود في القاعة. عادت الى ذهنها حقيقة شعورها نحوه. فهي تحبه كما لم تحب اي رجل آخر في حياتها. فهو اول رجل ايقظ فيها شوقاً لأن تكون امرأة بكل ما في الكلمة من معنى، وستحبه الى الابد حتى لو تزوج كلاريسا يوماً. فذلك لن

يقضي على حبها له، ولن تستطيع ان تتزوج احداً غيره. مستحيل ان تقبل بمشاركة حياة رجل آخر في حين انها تحب دين ولا ينبض قلبها الا لأجله.

وصل الطعام وشرعت روبين تتناوله بشهية.

لاحظت ان دين كان بطيء في الأكل واعتقدت انه ربما لا يشعر بالجوع، التقى نظرهما مراراً. كانت تبدو في عينيه نظرة غريبة فشلت روبين في حل لغزها. وبعد انتهائهما من الأكل اتى الخادم لاخلاء الطاولة.

فبادرها دين:

- حسناً يا آنستي، اخبريني الآن، ما هو سبب زيارتك للمدينة اليوم؟

امتدت يده تلمس يد روبين بنعومة ولطف، واحنت روبين رأسها بخجل مترددة بافشاء سرها.

- روبين ما زلت انتظر رداً على سؤالي.

- لكن...

عجزت روبين عن فهم السبب وراء ترددها لاخباره. ربما لأنها ليست واثقة من ردة فعله. لكنها جمعت شجاعتها وقالت:

- قدمت طلباً اليوم لاعادة الماء الى المزرعة.

لم يجب. سحب يده عن يدها وجمدت شفتاه. اعتقدت روبين لبرهة انه لم يسمعها. ثم نظرت اليه بذعر. كانت تعتقد

ان الخبر سيسعده. فصاحت قائلة:

ـ الم يسعدك هذا الخبر؟

ـ تحكمين علي قبل ان اتفوه باي كلمة.

اغرورقت عينا روبين بالدموع وكبتت تنهيدة من الألم والحسرة ثم قالت:

ـ لكن لماذا لا تعبر عن سعادتك لسماع هذا الخبر؟

ـ لاني اراك تورطين نفسك في مأزق بعد مأزق.

ـ ماذا تحاول ان تقول؟

ـ روبين كفي عن الصياح الا اذا كنت تريدين من الموجودين في هذه القاعة ان يستمعوا اليك.

ـ دعهم يستمعون اذا وجدوا الحديث مشوقاً. اريدك ان تشرح لي ما عنيت بقولك.

ـ قلت لك من قبل ما اعتقد عن حياتك في كرانيتكوب.

كان صوته هادئاً، متزناً فأجابت روبين:

ـ اتعني اننا شلة اطفال لا يدرون ما يفعلون.

ـ لا افكر انكم انجزتم عملاً ضخماً لم اعتقد انكم تقدرون عليه.

ـ اذن؟

ـ لكنكم ما زلتم صغاراً. اتعتقدين ان اعادة الماء الى المزرعة سيحل جميع همومكم؟ لا... فقريباً او بعيداً سترضخين

لحقيقة الأمر، وهو عجزك عن الاعتناء بالمزرعة كما يجب.

ـ كنت اعتقد انك تدرك حقيقة الوضع الذي انا فيه.

ـ بكل تأكيد.

ـ اذن تعلم جيداً ان علي الاحتفاظ بالمزرعة، والا سأتشرد انا واسرتي.

ـ عرضت عليك سابقاً ان تأتي واسرتك للعيش معي، وما زال هذا العرض ساري المفعول.

نظرت اليه بذعر. كيف لها ان تعيش في مزرعة الجبل الازرق في ظل احسان السيد مورناي؟ مما يعني انها ستضطر لاظهار الامتنان باستمرار!وكيف لها ان تعيش تحت سقف واحد برفقة كلاريسا؟ وكرانيتكوب ماذا سيحل بها؟ وقال دين مورناي وكأنه قرأ افكارها:

ـ طبعاً. ما زلت اريد شراء مزرعة كرانيتكوب.

ـ وبسعر رخيص جداً كما اعتقد.

ـ سأدفع لك الثمن الذي تستحقه المزرعة.

ـ قلت لي مرة انك رجل اعمال...

كان صوتها مرتبطاً وعيناها دامعتين. كانت تعتقد ان هذا اليوم من اسعد ايامها وانها ستتذكره طالما هي على قيد الحياة. ربما لن تنس هذا اليوم، لكن ليس لأجل الفرح الذي وهبها، بل لأنها اكتشفت دين مورناي على حقيقته، وادركت انها فقدت

آخر انسان وثقت به. كان يراقبها بدهشة وكأنه يدرك الصراع الذي يمزق افكارها فقال:

- صحيح اني رجل اعمال لكن...
- وترى انني واسترتي شلة اطفال يمكنك الاحتيال عليهم.
- روبين كفاك هراء.
- اقول ما اشاء فمنذ البداية وانت تعاملنا كأطفال، خاصة انا، لأنني كنت على اتصال معك بين الحين والآخر. اعتبرتني الغبية الكبرى. «روبين الصغيرة». كم امقتك حين تناديني بهذه العبارة. لا شك انك وسيدتك شاركتما لحظات مزح وضحك كلما تحدثتما عني.

وتدفقت الكلمات من فمها بسرعة وغضب بينما دين يراقبها بصمت وهدوء وقال:

- اذن كنت تستمعين الى حديثنا!
- طبعاً.

واطلق ضحكة ساخرة ثم اجاب:

- الا تعلمين ان من يتنصت لحديث الاخرين، لا سيما ان ما سيسمعه عن نفسه لن يكون مسراً.
- ربما. لكن من الافضل ايضاً معرفة الحقيقة.
- اخبريني يا روبين هل استمعت لما قلته انا لكلاريسا؟
- لا. لم احتج لسماع جوابك.

وقفت روبين حين اقترب الخادم ليقدم القهوة لكن روبين ادارت ظهرها وهمت بالرحيل فناداها دين قائلاً:

- روبين لم تتناولي قهوتك.
- اشربها بمفردك.

وخرجت من المطعم ولم تنظر خلفها ابداً، كانت تخشى ان تكون نظرة دين ساخرة لا مبالية فلن تحتملها، ولم ترغب بأن يرى الدموع التي فاضت من عينيها.

كان جوني ينتظرها قرب السيارة وحين رآها تقترب هرع نحوها قائلاً:

- روبين ما بالك؟ هل انت بخير؟
- نعم هيا بنا للرحيل.
- حسناً.

وتوجها الى السيارة وحين جلست روبين القت نظرة سريعة ناحية المطعم، ورأت دين يخرج منه وينظر حوله عابساً ثم رآها برفقة جوني وشرع يقترب منهما، حين وضعت روبين ذراعها فوق كتف جوني وقالت:

- جوني عانقني بسرعة.
- ماذا؟ هنا؟
- نعم.

حسناً كما تريدين.

وجذبها جوني نحوه وعانقها. تصنعت روبين السرور، ولمحت دين واقفاً امام السيارة ينظر اليهما بسخط، فرفعت رأسها نحوه وقالت:

- انك تزعجنا.

- لم اعلم انك تستمتعين بالعناق علناً.

وادار ظهره ورحل. سألها جوني والدهشة تغمره:

- ما معنى كل هذا؟

- لا شيء يدعو للقلق.

فحاول جوني معانقتها من جديد لكنها صدته قائلة:

- لا ارجوك.

- طلبت مني معانقتك لاحراج السيد مورناي؟

- لا جوني. انك لا تعلم تفاصيل الحادثة.

- صحيح. لنذهب اذن ونتناول شراباً مرطباً ونتحدث بهدوء.

آخر ما كانت تريده روبين هو الذهاب برفقة جوني للتحدث. ارادت العودة الى المنزل والاختلاء بنفسها. ندمت على تصرفها نحو جوني الذي استعانت به مؤقتاً لتثير غضب دين مورناي. فجوني لا يستحق هذه المعاملة ابتسمت له وقالت:

- حسناً لنذهب سيسعدني ذلك.

فوصلا الى قهوة صغيرة تغص بالتلامذة وصادفت روبين العديد من زملائها الذين عرفتهم منذ ايام الدراسة. كان من المتوقع ان تسعد روبين لرؤيتهم من جديد، لكن لسبب ما غادرتها سعادتها، وحاولت بيأس ان تتظاهر بالفرح. كم ارادت ان تختلي بنفسها وان تبتعد عن هذا الحشد، فحاولت لفت نظر جوني اليها علّه يصطحبها الى المنزل، فرأته منهمكاً بالتحدث الى حسناء شقراء يبدو انه متمتع برفقتها، وحين التقى نظره بنظر روبين اشارت له روبين عن رغبتها بالرحيل فاستأذن من صديقته على مضض.

تساءلت روبين عما اذا كان جوني يحاول مبادلتها معاملتها له بالمثل.

كم كانت غبية حين اعتقدت ان هذا اليوم سيكون اسعد يوم مر عليها منذ اشهر عديدة. فمنذ ان التقت بدين عند الظهر تغير كل شيء وانقلب حظها رأساً على عقب. يبدو ان حياتها الآن تعقدت من جديد وهذه المرة بشكل مختلف.

٩ ـ حظ عاثر

بقي جوني صامتاً خلال قيادته للسيارة متجهاً نحو مزرعة كرانبكوب، وراحت روبين تتأمل الطبيعة حولها متسائلة عما اذا كانت مزرعتها ستزدهر يوماً وتستعيد خصبها ومجدها. تفاجأت روبين حين اتخذ جوني طريقاً فرعية، واعتقدت انه ربما ينوي زيارة مزرعة مجاورة بسبب عمله. لكنه اوقف السيارة فجأة تحت ظل شجرة الصنوبر، وجذبها نحوه ثم عانقها بلهفة وشوق. لم تحرك روبين جفناً. كانت ما تزال تحت تأثير الدهشة فأخذ جوني وجهها بين يديه ونظر في عينيها بغضب وقال:

- ألم تعد معانقتي تروق لك؟

- لست متأكدة... لا أعلم...

- لم يساورك الشك من قبل، حين طلبت مني معانقتك ونحن في المدينة. هل من عادتك التصرف على هذا النحو علنياً؟ ام كنت تحاولين برهان شيء ما للسيد مورناي؟

- جوني... انني...

تجهم وجه جوني وظهر عليه غضب شديد. تسرب الخوف الى قلب روبين وادركت خطورة غلطتها. كانت تشعر بيد جوني تضغط بعنف فوق ذراعها وشعرت بألم عميق. لم يخطر لها أبدا ان بوسع جوني ان يسيء اليها، حتى لو كان ذلك بسبب السوء الذي سببته له. لكنه ها هو الان يحدق بها، وفي عينيه تنعكس شرارة الغضب الذي يغلي بداخله. حاولت روبين بجهد ان تجيب على سؤاله فقالت:

- كنت احاول برهان أمر ما للسيد مورناي. لكن ارجوك ان تحاول فهمي.

- روبين ألا تعلمين انك تلاحقين وهما. فرجل ثري مثل السيد مورناي لن يهتم بفتاة مثلك.

- اعلم ذلك لكنك أخطأت فهمي. دين مورناي أساء الي شفهيا فأردت بطريقتي الخاصة ان احرج موقفه. هذا كل شيء.

ابتسمت روبين ثم اضافت:

- هل تسامحني؟

- حسناً. اسامحك... هل تمتعت بمرافقتي لك؟

اجابت روبين بخجل:

- نعم.

وقال جوني:

- اذا برهني لي على ذلك. ضعي ذراعيك حول عنقي من جديد.

كان صوته آمراً وخشت روبين ان تصده فاستجابت لطلبه. عانقتها. وأغمضت عينيها محاولة درس شعورها نحوه، تراقب ردة فعلها وهي بين ذراعيه. لكن شعورها الداخلي أبى ان يتأثر ولازم الجمود. أمر غريب فكرت روبين في ذهنها. كيف بامكان رجل، بمجرد ان ينظر اليها، أن يزرع في داخلها الاضطراب ويوقظ مشاعر عديدة في أعماقها، بينما يعانقها رجل آخر ولا يحدث شيء، بل تبقى أحاسيسها نائمة وكأنها غادرتها الى غير عودة؟ هذا يفسر أمراً واحدا مهماً جدا وهو انها تحب دين فقط ولا احد غيره. وفجأة أخذ جوني وجهها بين يديه، وكانت الابتسامة ظاهرة على وجهه من جديد وقد استعاد غبطته فقال:

- روبين ما رأيك بالزواج؟

تفاجأت روبين بهذا السؤال ولم تعلم كيف تجيب عليه فنظر اليها جوني ثم قال:

- روبين ألا تعتقدين انه من المستحسن ان نتزوج؟

- لم يساورك الشك من قبل، حين طلبت مني معانقتك ونحن في المدينة. هل من عادتك التصرف على هذا النحو علنياً؟ ام كنت تحاولين برهان شيء ما للسيد مورناي؟

- جوني... انني...

تجهم وجه جوني وظهر عليه غضب شديد. تسرب الخوف الى قلب روبين وادركت خطورة غلطتها. كانت تشعر بيد جوني تضغط بعنف فوق ذراعها وشعرت بألم عميق. لم يخطر لها أبدا ان بوسع جوني ان يسيء اليها، حتى لو كان ذلك بسبب السوء الذي سببته له. لكنه ها هو الان يحدق بها، وفي عينيه تنعكس شرارة الغضب الذي يغلي بداخله. حاولت روبين بجهد ان تجيب على سؤاله فقالت:

- كنت احاول برهان أمر ما للسيد مورناى. لكن ارجوك ان تحاول فهمي.

- روبين ألا تعلمين انك تلاحقين وهما. فرجل ثري مثل السيد مورناي لن يهتم بفتاة مثلك.

- اعلم ذلك لكنك أخطأت فهمي. دين مورناي أساء الي شفهيا فأردت بطريقتي الخاصة ان احرج موقفه. هذا كل شيء.

ابتسمت روبين ثم اضافت:

- هل تسامحني؟

- حسناً. اسامحك... هل تمتعت بمرافقتي لك؟

اجابت روبين بخجل:

- نعم.

وقال جوني:

- اذا برهني لي على ذلك. ضعي ذراعيك حول عنقي من جديد.

كان صوته آمراً وخشت روبين ان تصده فاستجابت لطلبه. عانقها. وأغمضت عينيها محاولة درس شعورها نحوه، تراقب ردة فعلها وهي بين ذراعيه. لكن شعورها الداخلي أبى ان يتأثر ولازم الجمود. أمر غريب فكرت روبين في ذهنها. كيف بامكان رجل، بمجرد ان ينظر اليها، أن يزرع في داخلها الاضطراب ويوقظ مشاعر عديدة في أعماقها، بينما يعانقها رجل آخر ولا يحدث شيء، بل تبقى أحاسيسها نائمة وكانها غادرتها الى غير عود؟ هذا يفسر أمراً واحدا مهماً جدا وهو انها تحب دين فقط ولا احد غيره. وفجأة أخذ جوني وجهها بين يديه، وكانت الابتسامة ظاهرة على وجهه من جديد وقد استعاد غبطته فقال:

- روبين ما رأيك بالزواج؟

تفاجأت روبين بهذا السؤال ولم تعلم كيف تجيب عليه فنظر اليها جوني ثم قال:

- روبين ألا تعتقدين انه من المستحسن ان نتزوج؟

- جون. . . لم افكر بذلك من قبل.

- روبين ألا ترين اننا اذا وحدنا امكانياتنا سنقوم بعمل رائع؟ فانا شغوف بفكرة الاستقلال في عمل لنفسي، وأنت بحاجة لمن يعتني بكرانيتكوب ويخفف عنك عناء هذه المسؤولية.

- أهذا كل شيء؟

- روبين تعلمين جيداً أننا ننسجم معاً.

وابتسم جوني لكن روبين تنهدت من الحسرة. فلم يذكر جوني أي كلمة عن الحب، لكنه على الاقل لم يحاول ان يتظاهر بأنه هائم في حبها. هو في الحقيقة يسعى وراء امتلاك كرانيتكوب. ربما لو اختلفت الظروف أو أن روبين لم تكن واقعة في حب دين، لكانت قبلت بجوني كزوج لها. لكن دين ابعد من أن يصل اليه قلبها. وخاصة بعد اليوم اذ اتسعت المسافة بينهما.

- روبين ماذا قلت؟

- جوني. . . آسفة. . . لا أستطيع ان اتزوجك.

- روبين. . .

وأخذها بين ذراعيه من جديد، وعانقها بشوق ريثما تغير رأيها حين تشعر بنبضات قلبه السريعة تلح عليها بالقبول. لكن روبين أبعدته عنها بلطف وقالت:

- جوني. . . الغلطة ليست غلطتك. . . انت انسان لطيف جداً. صدقني.

- لماذا لا تفكرين بالموضوع قليلاً؟

- حسناً اذا شئت. فكرت روبين انه من المستحسن ان تتظاهر بلطف اكثر، فهي حريصة ألا تحطم كبرياء جوني كلياً. رغم معرفتها للحقيقة وهي انه من المستحيل لها ان تتزوج جوني، أو أي شخص آخر ان لم يكن دين. . .

مرت الايام وكانت روبين تتمتع بتوفر المياه في جميع انحاء المزرعة. من الحقل الذي يحتاج للسقي يومياً الى احتياجات المنزل اللازمة كالطبخ والغسيل والشرب وغيرها، فعودة الماء كانت بمثابة رفاهية لعائلة سلون، اذ قضوا أشهر عديدة واضطروا خلالها، تباع طرق أولية لاستخدام المياه، كنقلها من النهر وغليها في المنزل لكي تصلح للاستعمال. أما الآن فلا حاجة لهذا العمل الشاق بعد اليوم. استرخت روبين تأخذ حماما وتفكر بالمستقبل. . . وكيف ستجعل من كرانيتكوب مزرعة ناجحة مزدهرة من جديد. لكن ما زالت روبين ترجو أن تهطل الامطار بغزارة لأن الارض تحتاج اليها بعد أشهر من الجفاف. لكن مع عودة المياه الى المزرعة عاد الامل لانقاذ الارض من عطشها القاتل.

وحان موعد دفع القسط الشهري للرهن وارسلت روبين

المال مع ميكي وحين عاد سألته عن دين فقال:
- كان جافاً على غير عادته. اخذ المال ولم يتفوه بأي كلمة. في اي حال لا يهمني أمره.
- وكلاريسا؟
- لم أرها.
تساءلت روبين لماذا لم يقرر دين وكلاريسا ان يتزوجان بعد؟ ترى اتنتظر كلاريسا طلاقاً من زواج سابق؟ أم ان هناك عائقاً اخر يعترض طريقهما؟ لكن لماذا السؤال؟ فكلاريسا تحتل مكانة الزوجة وسيدة المنزل حتى لو لم تكن قانونياً متزوجة من دين.

وفي يوم بينما كانت روبين منهمكة في عملها اليومي كالمعتاد سمعت صوت ميكي يناديها بقلق وهو يسرع نحوها، وأخبرها انه تلقى مكالمة هاتفية تعلمه أن آنا في المستشفى، بعد أن تعرضت لحادث سيارة وهي في طريقها الى البيت.

أسرعت روبين الى سيارة الجيب القديمة التي تملكها، وقادتها الى المستشفى برفقة اخوتها. تسارعت الى ذهنها أفكار عديدة. كان قلبها يتوسل لأن تكون آنا بخير ولم تتعرض لمكروه فظيع. سكن وجه آنا مخيلتها، وامتلأت عيناها بالدموع. وصلت المستشفى بعد ربع ساعة من تلقيها الخبر. كان الطبيب يفحص آنا، وجاءت الممرضة تستقبل روبين واخبرتها ان آنا ستكون

بخير، إلا انها تعرضت لجروحات عميقة وتكاليف معالجتها ستكون باهظة.
- ايمكننا رؤيتها؟
- بعد قليل.
ولاحظت روبين أن الممرضة لم تخبرها كل شيء بعد. فسألتها قائلة:
- هناك شيء آخر لم تبوحي به بعد.
- اريدك ان تكوني مستعدة لتلقي الخبر أولاً.
- لكنك قلت انها ستعافى.
- صحيح.. لكن تعرض وجهها لبعض التشويه، وتحتاج لعملية تجميل جراحية لاعادته الى طبيعته. غمر الضباب عيني روبين واحست انها على وشك ان تفقد وعيها، اقتربت منها الممرضة وأخذت بيدها واتجهت بها نحو مقعد حيث ساعدتها على الجلوس.
- شكرا. انني بخير، لم اتوقع هذه الصدمة...
- سيتحدث اليك الطبيب ليعلمك بتفاصيل العملية. ثم... لا أريد مناقشة تكاليف العملية الآن، لكن ربما من الافضل أن اعلمك بالقيمة المطلوبة.
وذكرت الممرضة مبلغا لم تملك روبين حتى نصفه ثم قالت:
- اذا تعذر عليك الدفع اعلمي مسؤولي المستشفى، فربما

توصلوا لتدبير الأمر.

- لا... لا مبرر... أريد أن تتم العملية بأقرب وقت، اذ يهمني أن تتعافى اختي على اكمل وجه. أما بالنسبة الى المال... سأجمع القمية اللازمة.

توجهت بهم الممرضة الى غرفة آنا، ولرؤيتها انقبض قلب روبين. كانت آنا في حالة يرثى لها، غطت وجهها ضمادات، وانابيب المصل متصلة بذراعيها. وحين اقتربت منها روبين فتحت آنا عينيها وقالت بصوت مرتعش:

- روبين... تعرضت لحادث فظيع.

- أعلم يا عزيزتي... لكن لا تقلقي ستعافين قريباً.

ووضعت روبين يدها فوق يد اختها تواسيها واغمضت آنا عينيها لبرهة ثم فتحتها من جديد وقالت:

- وجهي...

اذن فهي تعلم... وألقت روبين نظرة ناحية ميكي وتيموثي شحب لونهما ولاحظت ان ميكي يحاول جهده أن يكبت دموعه بينما راح تيموثي يبكي بصمت.

- آنا. حبيتي سيعود وجهك الى طبيعته فلا تجزعي.

استسلمت آنا للنوم بعد أن شعرت بالاطمئنان، وتركت روبين اخوتها وهرعت الى مركز البلدية حيث طالبت بقطع الماء من جديد، واستعادت المال المدفوع سلفاً. عادت الى

المستشفى. كانت آنا ما تزال نائمة، أتى الطبيب لزيارتها وأسعده وجود روبين للتحدث اليها بشأن شقيقتها.

اخبرها أن آنا تعاني من صدمة عنيفة، لكنها ستزول بعد يومين، أما وجهها فهو واثق أن عملية التجميل ستعيده الى طبيعته ولن تترك اي اثر للحادث ابداً.

وفي طريقهم الى المزرعة سأل ميكي شقيقته قائلا:

- روبين هل سيمكننا تدبير المال لدفع تكاليف المستشفى؟

- طبعاً.

- أنت واثقة من ذلك؟

- بكل تأكيد.

أجابت روبين بثقة لم تكن تملكها على الاطلاق وأجاب ميكي:

- رائع. اذ يؤلمني ان تكون آنا حزينة.

واطمأن ميكي وتيموثي لتأكيد روبين بشفاء آنا العاجل وشعرت روبين بثقل المسؤولية الكبرى التي تنتظرها. فبينما يستمد تيموثي وميكي شعورهما بالامان والاستقرار من شقيقتهما الكبرى. لا تجد روبين احداً للالتجاء اليه حين تواجهها صعوبة كهذه. وورد في ذهنها دين فهو بدون شك مصدر وقوة لمن هم قربه. ترى هل تعلم كلاريسا قيمة هذا الرجل الذي تعيش في ظل حمايته؟ وخلال استغراقها في

عملها، راحت روبين تفكر بطريقة للحصول على مزيد من المال، لجمع القيمة المطلوبة لتسديد تكاليف المستشفى. ادركت انه لا امل لها بجمع المال ودفع قسط الرهن في آن واحد. فبعد قطع الماء والحصول على قسم من القيمة المطلوبة ستضطر لمواجهة دين والطلب منه ان يعفيها من الدفع هذا الشهر فقط.

واستعدت لزيارته. امتطت صهوة حصانها وانطلقت نحو مزرعة الجبل الازرق. وجدت دين في الاسطبل منهمكاً بالاعتناء بحصان مريض. لم يسمع وقع خطواتها فوقفت تتأمله لبرهة. كانت يداه تربتان على ظهر الحصان المريض بلطف وحنان، وهو يخاطبه بصوت خافت ناعم. وفجأة التفت ناحية روبين كأن شيئاً ما نبهه لوجودها. لاحظت روبين العبوس على وجهه لكنه سرعان ما استبدله بابتسامة وهتف قائلاً:

- روبين.

ثم اقترب نحوها ووضع يده فوق ذراعها، بدت عليه السعادة لرؤيتها وكأنه نسي ما حصل بينهما خلال لقائهما الاخير. وقال من جديد:

- يا للمفاجأة!

اجابت روبين لاهثة:

- اردت التحدث اليك.

- ارجو ان يكون حديثك عن اشياء لطيفة.

- دين...

- تبدين جدية يا روبين الصغيرة.

ها هو يناديها بهذه العبارة من جديد لكنها لن تعترض فهي حريصة الا تثير غضبه:

- دين اريد....

وتوقفت مرة اخرى لأن ذراعه امتدت لتمسك بلطف وجهها الصغير. كان قريباً منها لدرجة انها شعرت بالدوران ثم قال:

- لنذهب الى الداخل ونتحدث بهدوء.

- هل علي التحدث امام كلاريسا؟

- لا.

- حسناً اذن.

وتوجها معاً الى الداخل، وتفاجأت روبين لشعور الاثارة الذي يغمرها لمجرد وجودها برفقة دين. حتى لو كانت تعاني من صدمة ما حدث لأنا. فما هو سر هذا الجاذب القوي المنبعث منه، والذي بوسعه تجريدها من اتصالها بالحاضر، لتصبح كنجمة في الاعالي... مشعة مضيئة.. ساطعة.

تركها في غرفة الجلوس وذهب ليغسل يديه ويغير ثيابه. لم

تظهر كلاريسا ففكرت روبين انها ربما مريضة تلازم الفراش، او ذهبت الى المدينة للتبضع. فمهما كان سبب غيابها فذلك يلائم روبين اذ كان سيصعب عليها التحدث مع دين بحضور كلاريسا.

دخل دين الغرفة وجلس مواجهاً روبين وقال:

- حسناً. ما الذي اتى بك لزيارتي؟

- دين...

ونظرت اليه بيأس. كم وجدت الأمر صعباً:

- لن استطيع دفع الرهن لهذا الشهر على الأقل.

لم يجب ، كان يتفحصها بدقة. بينما بقي وجهه جامداً وحاولت روبين من جديد:

- ايمكنك امهالي بعض الوقت؟

- كيف يمكنك طلب ذلك من جديد؟

- قمت بالدفع بانتظام خلال الأشهر العديدة الماضية.

- وستتابعين الدفع كالمعتاد.

- واذا رفضت.

- تعلمين نتيجة رفضك.

- اتعني انك ستنهي العقد؟

- اتذكرين حين قلت لك يوماً انني رجل اعمال؟

- واحقر رجل عرفته.

احتقن وجهها غضباً ثم اضافت:

- اعلم الدافع وراء تصرفك هذا. فأنت طامع بامتلاك كرانيتكوب منذ زمن، وتنتظر اول فرصة سانحة لاستغلالها للوصول الى هدفك.

- روبين بما انك قمت بتحليلك لتصرفاتي، اظن انك لن تهتمي لما اريد ان اقول.

- صحيح لن يهمني ذلك. ولا داع لك للقلق، اذ ستستلم قسط الرهن في الموعد المعتاد. ومهما حصل لن ادع يديك تستولي على كرانيتكوب.

وهمت روبين بالرحيل حين امسك بها قائلاً:

- روبين انتظري لحظة.

- دعني ارحل.

وحاولت الافلات منه، لكن قبضته كانت محكمة فوق ذراعها فقال:

- اهملت ان تخبريني شيئاً؟

- ماذا تعني بذلك؟

- هل انت في مأزق ما؟

- لا. لست في اي مأزق. آسفة لتخييب املك.

كم كان سهلاً ان تبوح له بالحقيقة. فهو بدون شك سيوافق

على مساعدتها، لكنها لا تريد شفقته. وسألها دين ملحاً:

- هل هي الحقيقة؟

- طبعاً.

- لماذا قلت اذن انك غير قادرة على الدفع؟

- اعتبر السبب يعود الى انقلاب في الحظ.

- وليس بودك اخباري عنه.

- لا.

لماذا اصرت على صده ومقاومته، بينما كانت في الحقيقة تتوق لافشاء ما يجول في خاطرها؟ جذبها دين اليه ونظر في عينيها لوقت طويل. كانت نظرته مرة قاسية، لاحظت روبين تقلص العضل في وجهه وراح قلبها ينبض بسرعة جنونية.

- روبين! لماذا تصرين على تعذيبي. الا تعتقدين انك بدأت تبالغين.

اجابت روبين بسخرية:

- لا تقلق فأنت رجل تنعم بقوة هائلة قادرة على مواجهة العذاب.

- طبعاً وينتابني شعور انك معجبة بهذه القوة.

وبعنف عانقها، لكن عناقه ما برح ان تحول الى نعومة ولطف وهيام ورغم مقاومتها له في البداية، رضخت روبين

لسيطرته عليها، اذ ادركت انها في النهاية اذا استمرت في مقاومته فهي تقاوم نفسها. ثم اطلق سراحها فجأة وقال لاهثاً:

- الى ان نلتقي من جديد يوم الدفع.

١٠ - وحين عاد المطر..

وصلت روبين الى البيت منهكة من التعب، مجردة من قواها الجسدية والنفسية، فهنالك خبر حادث آنا، ومشكلة ايجاد المال الكافي لاجراء عملية التجميل الجراحية. ثم ردة فعل دين السلبية حيال طلبها لتمديد مهلة الدفع.

جميع هذه الأمور تجول في ذهنها، بالاضافة الى ذلك الشعور الخفي القوي الذي تحكم بعواطفها، وجعلها تتأثر لمعانقة دين تأثراً عميقاً حقيقاً، ماذا حل بها؟ تساءلت بيأس. لم تتوقع يوماً من أي انسان ان يقلب مجرى حياتها رأساً على عقب كما فعل دين.

كيف خانتها مشاعرها حين كان عقلها يؤنبها، بأن

الشخص الذي تحبه لا يستحق حبها؟ فحين عانقها تحقق لها الى اي درجة تحتاجه وتريده. قررت الا تراه بعد الآن. بل سترسل ميكي كل مرة يحين موعد الدفع، واذا صادف ان التقت به ستتجاهله. اما الآن فعليها ان تواجه مشكلة جمع المال لدفع الدين وكلفة عملية آنا. لم يبق امامها سوى حل واحد. كانت تتمنى الا تضطر للجوء اليه، لكن الظروف ارغمتها الآن على ذلك. انتظرت حتى المساء وبعد ان نام الجميع، دخلت غرفتها واقتربت من خزانتها وامتدت يدها تتناول علبة امها. كانت يداها ترتجفان حين فتحت العلبة واخذت منها عقداً ذهبياً يتدلى منه حص زمرد ورثته امها من جدتها يوم زفافها، والآن اصبح ملكاً لروبين. لم تفكر روبين يوماً ان تبيعه لكن لم يعد امامها سوى هذا الحل لانهاء مشاكلها المادية فشفاء آنا اهم من اي شيء اخر.

وفي اليوم التالي قصدت روبين المدينة، وقررت ان ترهن الزمرد بدلاً من بيعه. استغرقت هذه المهمة وقتاً طويلاً اذ وجد المسترهن العقد نادر الوجود وطرح عدة اسئلة على روبين. وفي النهاية تمت الصفقة وغادرت روبين المتجر بعد ان اكدت للمسترهن انها ستعود لتسترجع العقد قريباً. لكن كانت تعلم ان ذلك سيحتاج لأعجوبة، فكيف ستحصل على المال لاستعادة العقد؟ امر مستحيل.

حاولت ان تنظر بتفاؤل الى الوضع. فلو لم ترهن العقد، لما حصلت على المال لانقاذ سعادة آنا، والاحتفاظ بالمزرعة في آن واحد. وبعد يومين زارت روبين آنا برفقة اخويها وطمأنتها بانها ستكون بخير. ولرؤية عيني آنا الممتلئتين بالدموع، زالت آخر نقطة ندم شعرت بها روبين لرهن العقد، اذ ادركت ان ابتسامة آنا اثمن من اي مجوهرات. وفي المساء بعد ان أوى ميكي وتيموثي الى فراشيهما جلست روبين في غرفتها تتأمل صورة والديها، تستعيد ذكرى ما حصل منذ وفاتهما. كانت متعبة، لدرجة انها لم تسمع طرقاً خفيفاً على باب المطبخ وفجأة انفتح باب غرفتها فالتفتت بسرعة وصاحت:

- دين... كيف دخلت الى هنا؟

- تماماً كما فعلت سابقاً. من باب المطبخ المفتوح. كما هو بامكان اي متطفل آخر ان يفعل.

- لا يوجد اي متطفلين في هذه الارجاء.

- لا تكوني ساذجة. اذكر انني حذرتك من قبل باقفال الابواب قبل ان تنامي. اليس هنالك نهاية لتدهورك؟

- دين. اذكرك بأني لست طفلة.

- اذن لا شك انك تظهرين نضوجك بطريقة غريبة.

- وماذا تعني؟

لم يجب دين مباشرة كان يظهر عليه غضب شديد، مما جعل

روبين ترتعش من الخوف. لا بد انه غاضب من شيء مهم. شيء لم يبح به بعد. ترى ما هو؟

كان دين واقفاً يحدق بها ثم تناول علبة من جيبه وقال:

- اعني هذا.

وتمعنت روبين بالعلبة ثم ادركت ما يعنيه. فاستمر قائلاً:

- اعتقد انك تعلمين ما في العلبة.

- طبعاً.

- اذن يمكنك ان تشرحي لي لماذا قمت بهذا العمل.

بذلت روبين جهدها لتبقى قوية، مسيطرة على عواطفها وهدوئها، متمسكة برباطة جأشها كي تواجه هذا الرجل المهيب. فبامكانه سحقها اذا اظهرت ضعفاً خوفاً.

- استطيع ان اشرح لكنني ارفض

- روبين لا تحاولي خداعي. آمرك ار ني في الأمر.

- لا حق لك بان تطالبني بشيء. كيف على الدخول الى هنا دون ابلاغي، وكأنك سيد المنزل فانا مسؤولة الوحيدة على تصرفاتي والعقد ملكي.

- خطأ. العقد ملكي انا الآن.

- ماذا.. . لكنني رهنته ولم ابعه. اعلمت المسترهن اني ماعود لاسترجعه.

- يجب الا تثقي بأي مسترهن.

- لكن كيف علمت بالأمر؟

- علمت ان الوقت سيأتي وستقومين بعمل غبي كهذا وحين ان المسترهن صديقي، اعلمته باخباري حال تقومين بزيارته.

- اذن غلبتني مرة اخرى.

- اهكذا ترين الوضع؟

بدا صوته لطيفاً، ناعماً الآن ونظر اليها بحنان وقال:

- لماذا لم تخبريني عن حادث آنا؟

- لانك كنت ستعتقد انني التمس شفقتك، ثم سبق وان اعلمتني انك رجل اعمال فاعتقدت ان خبرآنا لن يغير شيئاً.

- كان عليك ان تخبري على الاقل.

- ربما، لكنني لا احتاج لشفقتك.

- اتكرهينني الى هذا الحد؟

- طبعاً وماذا كنت تنتظر؟

- لا شيء.. . بات الكلام بيننا بدون اي معنى. خذي العقد ثم ارحل.

فصاحت لاهثة:

- اشتريته لاعادته الي؟

- كما ترين.

- لكن لماذا؟

وانتظرت جوابه بفارغ الصبر. كانت تتمنى لو يفاجئها بما

تود ان تسمع منه لكنه قال:

- لانه لم يكن من حقك ان تتخلي عنه.

واطلق ضحكة عالية، ارتبكت روبين لسماعها اذ ادركت انه ربما كان يعلم ما يجول في ذهنها. واضاف:

- العقد لعائلتك، وليس من حقك ان تحرمي ابنتك منه.
- لا لن اقبل ان آخذه.
- نعم ستأخذينه.
- لن يمكنك ارغامي على ذلك.
- الم ابرهن لك من قبل ان باستطاعتي ارغامك على طاعتي؟ اتحاولين تحريضي على اظهار قوتي من جديد؟
- لا ابداً.
- كوني صريحة روبين. سأريك ما تريدين.

وجذبها نحوه وعانقها بلهفة دافناً رأسها في صدره واستجابت له روبين اذ كانت تعلم ان لا جدوى من مقاومته. ولماذا تصده فهي تريده بجميع جوارحها. تحبه كما لم تحب اي انسان آخر قبله.

نسيت انه اذلها وحرج موقفها. اما الآن وهي بين ذراعيه، فهناك حقيقة واحدة مهمة لديها وهي انها تحبه.

كانت يداه ملتفتين حولها تداعبان خصلات شعرها، لكنه ما لبث ان ابتعد عنها من جديد وكأنه تذكر امراً مهماً. نظر اليها

قائلاً:

- اتعلمين انه من السهل ان تكوني لي دون اي مقاومة؟
- يمكنني ان اصرخ.
- لن ادعك تصرخين وتعلمين ذلك جيداً.
- اذن ما الذي يمنعك؟

اعتقدت لبرهة انه سيجذبها اليه من جديد لكنه ابتعد عنها وقال؛

- يوماً ما، ستصبحين امرأة فاتنة، اما الآن فكوني على حذر فانت مصدر اغراء لاي رجل.

لحقته نظراتها وهو يتجه الى الباب ثم وضع العلبة فوق الطاولة وحذرها قائلاً:

- من الافضل لك ايداع العقد في البنك، فهو ثمين جداً، ويحسن ان لا تتركيه في موضع يسهل لاي كان ان يستولي عليه. اما بالنسبة للرهن، فلا داع لك ان تقلقي بشأن الدفع حتى تزول الأزمة المادية التي تعانين منها حالياً.

يا له من رجل غريب الأطوار! فكرت روبين حين اختلت بنفسها من جديد، راحت تحلل معنى تصرفاته. خاصة فيما يتعلق بالعقد الزمردي. صحيح انه رجل اعمال لكنه ايضاً حريص على سمعته كانسان. فمن هنا تنتج شهامته. رفضت روبين ان تنسب تصرف دين الى اهتمامه الشخصي بها.

بلغ الصيف اواخره لكن الحرارة ما تزال مرتفعة جداً والطقس رطب. نظرت روبين الى السماء المكسوة بالغيوم، ولاحظت هذه المرة انه من الممكن جداً ان تمطر.

كانت روبين قد زارت اختها في الصباح وبشرتها آنا بنجاح عملية التجميل، وانها ستعود البيت قريباً جداً. انشرح قلب روبين لسماعها هذا الخبر، وشكرت القدر لتمكنها من الحصول على المال الكافي لتأمين العلاج اللازم لشقيقتها.

همت روبين تعمل بجهد محاولة انهاء عملها قبل غياب الشمس. كان ميكي يقطف ثمار المانغو وتيموثي يساعد روبين بنقل الماء من النهر الى الحقل.

وفجأة هطلت اولى قطرات الماء من السماء، وتبعتها امطار كثيفة استوعبتها الارض العطشى بسرعة. عانقت روبين تيموثي وراحا يرقصان من الفرح. ثم اسرعا نحو المنزل بعد ان تبللت ثيابهما كلياً. ووقفا يتأملان من خلال النافذة، ثم تذكرت روبين فجأة ان ميكي لم يزل خارج البيت. فالتفتت نحو اخيها تيموثي وسألت بقلق:

- هل رأيت ميكي؟

- لا... ربما انه اتى البيت قبلنا.

وراحا معاً يبحثان عن ميكي في غرف البيت لكن دون جدوى. وقال تيموثي اخيراً:

- اعتقد انه لم يزل في الحقل.

- تحت المطر يتعرض للعواصف اذ لا يوجد اي مكان ليحتمي به من خطر البرق.

تسرب الذعر الى قلب روبين وهي تفكر باخيها. ثم سألها تيموثي:

- ماذا سنفعل؟

- لا شيء الآن.

حاولت ان تتظاهر بالهدوء بينما كان القلق يشتتها.

- ميكي قادر على الاعتناء بنفسه، لا بد انه في طريقه الى المنزل.

ومرت الدقائق ولم يصل ميكي بعد. وبقي تيموثي وروبين في حالة قلق وذعر. تلاشى فرحهما باستقبال المطر الذي طال انتظاره. ثم قال تيموثي فجأة:

- سأذهب لابحث عنه.

- لا. وادعكما انتما في حالة خطر؟ اعتقد اننا بحاجة الى مساعدة.

- هل ستتصلين بجوني؟

- لا سأتصل بدين فهو قريب من مزرعتنا اكثر والحالة طارئة تحتاج لحل سريع.

واتصلت روبين بدين الذي طمأنها بسرعة قائلاً:

- سأبحث عنه حالاً. وسأرسل جميع الرجال هنا للبحث عنه ايضاً. اريد منك ان تلازمي البيت ولا تتحركي من هناك.

وضع سماعة الهاتف وبقيت روبين واقفة في مكانها ثم انهمرت دموعها.

- روبين! لماذا تبكين؟

- لم الاحظ انني ابكي. آسفة.

- ما الخبر؟ هل رفض دين مساعدتنا؟

- لا ابداً. بل انه سيساعدنا حالاً.

لم تستطع روبين حبس دموعها. بكت لأنها شعرت لأول مرة ان شخصاً اخر تولى حمل ثقل الهم الذي اصابها، لأول مرة تركت لشخص اقوى منها حرية حل مشكلتها. ومضت الدقائق واستعادت روبين هدوءها. وقفت تنظر من النافذة الى الخارج، علها ترى ميكي يعود الى البيت. وانتابها القلق. شعرت ان عليها ان تفعل شيئاً، رغم طلب دين منها بأن تلازم المنزل. لكنها لم تعد تحتمل الانتظار فقالت لتيموثي:

- سأخرج.

- سآتي معك.

- لا. من الأفضل ان تبقى هنا.

وخرجت روبين. وركبت سيارة الجيب وراحت تقودها عبر المزرعة باحثة عن ميكي. حولت الامطار الأرض الجافة الى

وحل، مما جعل قيادة الجيب صعبة جداً. واخيراً توقفت السيارة ولم تستطع روبين اكمال طريقها اذ اعترضها حجر كبير. فنزلت من السيارة ووجدت انه لا امل لها من تحريكه. فتركت الجيب وتابعت بحثها مشياً على الاقدام. لم تزل العاصفة الهوجاء تزعزع السماء، ولم تكترث روبين للخطر الذي وضعت نفسها به. فجأة امسكت بكتفها ذراع قوية ووجدت نفسها تواجه دين الذي صاح قائلاً:

- مجنونة! ماذا تفعلين هنا؟

- ابحث عن ميكي طبعاً.

- لقد وجدناه

وتنفست روبين الصعداء. زال القلق عن قلبها وغمرتها نشوة الفرح. لكن دين امامها والغضب الشديد على وجهه. ارادت ان تسأله المزيد عن ميكي لكنها لازمت الصمت. وتبعته محاولة اسراع خطواتها وحين لاحظ دين تعبها توقف قليلاً ثم حملها بين ذراعيه فصاحت قائلة:

- دين!

- اصمتي. علينا ان نحتمي من العاصفة بسرعة.

واتكأت برأسها فوق صدره الدافىء تتنشق عطره الرجولي، متنعمة بوجودها قربه. هذه اللحظات لن تنساها ابداً. حتى كلاريسا عاجزة عن تجريدها من حقها بالاحتفاظ لنفسها بهذه

الذكرى.

وصلا الى سيارة الجيب التي يملكها دين والقى روبين على المقعد وتوجه الى مقعد القيادة. فسألته روبين من جديد:

- لكن اين ميكي؟
- لا تخافي انه في امان.
- اين وجدته؟
- حيث اعتقدته ان يكون. وهو في منزلي الآن.
- في منزلك؟
- نعم. لأن منزلي كان اقرب مكان ليحتمي به.
- اه... دين... لا اعلم كيف اشكرك.
- لا مبرر للشكر.
- هل انت غاضب مني؟
- نعم. طلبت منك ان تلازمي المنزل في طقس كهذا لكنك فضلت ان تتعرضي للخطر.
- لم استطع البقاء في المنزل والانتظار.
- لا افهم كيف تتصرفين بهذا الشكل، مسببة لنفسك المزيد من المتاعب. سأضع حداً لهذا الوضع.
- وكيف؟
- ستأتين واخوتك للعيش معي في مزرعة الجبل الأزرق.
- لا لن ادعك تستولي على كرانيتكوب.

- لا اريد مزرعتك. الا تفهمين بعد ما اريد؟

سألته بلهفة:

نظر اليها دين وقد تغيرت تعابير وجهه من الغضب الى حنين عميق، وبدأ قلب روبين ينبض بسرعة اذ راحت نظراته تحوم فوق وجهها المبلل ثم ظهرت على وجهه ابتسامة خفيفة وقال:

- اريدك انت.
- اتعني...

وتوقفت قليلاً. احقيقة ما تسمعه؟ ثم اضافت قائلة:

- منذ البداية. حين طلبت مني ان اسكن وعائلتي في منزلك كنت تريدني ايضاً؟
- اردتك تحت سقفي. افتكرت انه.... ربما... لم تعجبني فكرة وجود شلة اطفال في مزرعة كرانيتكوب.

ها هو من جديد يتهمها بأنها طفلة فقالت بغضب:

- اما زلت تعتبرني طفلة؟
- سبق ان اعتبرتك طفلة نعم. لكن سبق ايضاً ان نظرت اليك كامرأة جذابة واردتك لي.
- لكنك تناديني دائماً بروبين الصغيرة.
- انها مجرد عبارة تحببية فقط.

وابتسم بلطف ثم اضاف:

ـ روبين اتعتقدين ان فرق السن بيننا يضايقك؟

ـ لا ابداً بل انه من العناصر التي تجذبني اليك.

ـ روبين هل تقبلين بالعيش معي؟

ـ وكلاريسا؟

ـ كلاريسا غادرت المزرعة منذ شهر تقريباً. لم يكن بيننا اي حب وقررت ان اضع حداً لعلاقتنا. فماذا تقولين استأتين معي؟

ـ لكي تراقبني عن قرب اكثر؟

ـ لا. بل لتصبحي زوجتي. فلا حياة لي من دونك.

اخيراً انسابت الكلمات من فمه كالعسل. تماماً كما ارادت ان تسمعها روبين منذ زمن. فهمست قائلة:

ـ دين. احبك.

ـ احببتك منذ اكتشفت انك فتاة ولست كما حاولت ان تتظاهري.

ـ اتعني انك لم تشك بأني فتاة حين رأيتني لأول مرة؟

ـ لعبت دورك جيداً لكن المظهر خانك. فلا تحاولي ابداً من جديد ان تتظاهري بانك رجل.

فانت امرأة بكل ما في الكلمة من معنى يا روبين الصغيرة.

ولأول مرة لم يزعجها سماع هذه العبارة. استسلمت لعناقه وفي قلبها ولد ربيع، واشرقت الشمس وغردت الطيور ولم تشعر الا بالسعادة وفرح الاتحاد بمن تحب.